الصّحافة
بين
التاريخ والأدب

تأليف

الدكتور محمد سيد محمد

أستاذ الصحافة بجامعة القاهرة

الطبعة الأولى

١٤٠٥ هـ — ١٩٨٥ م

ملتزم الطبع والنشر

دار الفكر العربي

١١ شارع جواد حسني / القاهرة

ص ب : ١٣٠ - ت ٧٦٠٥٢٣

تصميم الغلاف : الفنان اسماعيل دياب

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

مقدمة

بين الصحافة والأدب نسب عريق ، وبينها وبين التاريخ نسب وثيق • ولأن الصحافة ظاهرة اجتماعية وحضارية فان اهتمام القارىء العادى أو المتعلم البسيط يقف جنبا الى جنب مع اهتمام الباحث والمتخصص فى متابعة الصحافة ، وان اختلفت شدة الاهتمام وأبعاده بين كل من الفريقين •

ان الصحافة جزء من الحياة اليومية للقارىء العادى فى عصرنا هذا ، وهى فى الوقت نفسه جزء من الاهتمام اليومى لقادة الشعوب وحكامها ، فمن خلالها يرى الناس صورة للعمل الوطنى بصفة عامة ، ومن خلالها يرى القادة والحكام صورة للأمانى الوطنية واتجاهات الرأى العام • بل ان الصحافة المعاصرة استطاعت أن تعبر الحدود ، وتصبح وسيلة اعلام دولى •

وهذه الفصول تضع للقارىء العام والقارىء الباحث والمتخصص صورة متعددة الأبعاد للصحافة • ولقد حاولت أن أجعل هذه الصورة متميزة وواضحة ، وبين اطارين هما اطار التاريخ واطار الأدب • ومن حدائق التاريخ والأدب حاولت أن أنقل مشاهد حية تصور الصحافة فى ثوبها الحقيقى •• ثوب الفكر والتفاعل والحوار •

واننى آمل أن يثير هذا الكتاب همم زملائى وتلاميذى ليقدموا للقارىء العربى صورا أخرى من كنوز الصحافة العربية القابعة على أرفف المكتبات شاهدا على جهد أساتذتنا وآبائنا ، وأجيال سبقتنا ومهدت لنا الطريق •

والله ولى التوفيق •

د• محمد سيد محمد

تمهيد

الصحافة ليست مهنة البحث عن المتاعب

من أكثر الأقوال شيوعا عن الصحافة أنها مهنة البحث عن المتاعب • ولكنني لا أذهب مع القائلين بأن الصحافة هى مهنة البحث عن المتاعب ، فان هذا التعريف وان بدا رومانسيا طريفا الا أنه بغير معنى دقيق محدد • وانني أستطيع أن أضع محاولة لتعريف مهنة الصحافة بأنها مهنة البحث عن الحقائق ، ونشرها بطريقة رشيدة تنفع المجتمع وتنميه •

وهذا التعريف الذى يخص الصحافة المكتوبة ينطبق الى حد كبير على الصحافة المسموعة والمرئية • فانه من الشائع اطلاق تسمية الصحافة المسموعة على الراديو ، والصحافة المرئية على التليفزيون •

والسؤال دائما عن الصحافة هو : هل هى صناعة ؟ أم حرفة ؟ أم رسالة ؟

ان الاجابة الموضوعية لهذه الأسئلة هى أن الصحافة كل ذلك فى آن واحد • ولطالما كانت هذه الأسئلة موضع جدل ونقاش بين علماء الاجتماع والصحافة والاقتصاد وغيرهم • ولقد تعرض أمر الصحافه وما يزال يتعرض لخلاف شديد حول النظر اليها كصناعة بسبب ضخامة الاستثمارات فيها ، وتعدد الآلات والمعدات التى تستخدمها الصحيفة اليوم ، والتى جعلت منها ما يشبه المصنع الحديث ، وحول النظر الى الصحيفة باعتبارها مؤسسة لها رسالة اجتماعية •

ومهما يكن الاختلاف فان النظرة الموضوعية لمفهوم الصحافة ، والادراك الشامل لكونها صناعة ، يبين لنا أنها صناعة ذات طبيعة خاصة ، بسبب ارتباطها بمصلحة الجماهير الثقافية والاجتماعية •

وجوهر الاختلاف بين وجهتى النظر المتطرفتين فى أمر الصحافة ينصب فى رؤية البعض للصحافة بأنها رسالة سامية يجب أن تترفع عن الربح ، وأن القائمين عليها هم رسل التوعية والارشاد للشعوب فى هذا العصر ، بينما يرى البعض الآخر أن الصحافة مجرد صناعة كالمواد الغذائيـــة أو غيرها من الصناعات ، وأن هدفها الأول هو تحقيق الربح ، بل انها تملك وسيلة تحقيق الربح وتحقيق النفوذ معا .

وهكذا نرى بغير عناء أن كلا النظرتين متطرف فى فهم الصحافة ، فهى صناعة ذات طبيعة خاصـــة لأن الجانب المعنوى مرتبط بالجانب المـــادى ارتباطا عضـــويا ، فالمطبعة والورق والأحبار تعمل مع الفكر فى كل يوم وفى كل عدد من أعداد الصحيفة .

ولكى ندرك أهمية الصحافة فى عصرنا الحاضر علينا أن ننظر الى شعوب الكرة الأرضية جميعا ، هل هناك شعب من كل هـــذه الشعوب لا تصله الصحف ؟

ان اجابة السؤال بطبيعة الحال هى : لا ، حيث لا يوجد شعب بصفة عامة بغير صحف . لقد أصبحت الصحف ضرورة من ضرورات الحياة اليومية فى هـــذا العصر .

والصحيفة تعبير يشمل الجريدة والمجلة معـــا . وفى رأيى أنه يمكن التفرقة بين الجريدة والمجلة بثلاثة مقاييس رئيسية ، تحـــوى الشكل والمضمون لكل صحيفة . أولها الفترة الزمنية لتتابع الصدور . وهـــذا المقياس قـــد يبدو لأول وهلة مقياسا فى الشكل ، لكنه الأهم عندى ، لأن الصدور اليومى لصحيفة ما يؤكد كونهـــا جريدة ، ولأن هذا المقياس أيضا مرتبط بالمضمون ارتباطا وثيقا لأن الصحيفة اليومية لا يمكن أن تتخصص كما تتخصص المجلات . المقياس الثانى هو المـــادة التحريرية وهى فى الجريدة الخبر فى المحل الأول ، وفى المجلة المقـــال بأشكاله المتعددة ، والتقرير الصحفى بأنواعه الأربعة من حديث وتحقيق وريبورتاج وماجريات ، الى جانب القصص والطـــرائف والرســـوم والصور وما شابه ذلك . المقيـــاس الثـــالث هو الحجم ، فقد درجت

الجرائد خلال تاريخها العالمى أن تكون فى حجم أكبر ، كما درجت المجلات خلال تاريخها العالمى أن تكون فى حجم أصغر • وذلك برغم صدور صحف يومية بالحجم النصفى (التابلويد) ، وبرغم صدور مجلات بحجم الصحف اليومية ولكن العبرة بالأغلب والأعم ، وما شذ عن هذه القاعدة قليل • والى جانب هذه المقاييس الثلاثة الرئيسية توجد مقاييس ثانوية كنوع الورق والغلاف واستخدام الألوان وطريقة الطباعة والاخراج الصحفى ، واختلاف كل ذلك بصفة عامة فى كل من الجريدة والمجلة • وهذا ما سنعالجه بشىء من التفصيل فى الفصل الثالث •

ان هذا التحديد لمفهوم الصحيفة بأنها تشمل الجريدة والمجلة يساعدنا على أن نفرق بين النشرة وبين المجلة • ويساعدنا أيضا على ادراك التطور القانونى لتعريف الصحيفة •

ولكى نفرق بين المجلة والنشرة لابد من التأكيد على أن المجلة دورية تمثل عملا صحفيا بكل ما يتطلبه العمل من عمومية واتصال مباشر بجماهير القراء • فليست مضابط البرلمانات أو تقارير النشاط السنوى للهيئات الثقافية أو ما شابهها مجلات ، حتى لو اتخذت لنفسها عنوان مجلة لأن التسمية الصحيحة لها هى النشرة • فقد نصت معظم قوانين المطابع والمطبوعات على أن النشرة هى كل ما يطبع أو ينشر فى موضوعات خاصة أو عامة من حين لآخر ، وفى مواعيد مختلفة منتظمة أو غير منتظمة • وأن الصحيفة هى كل مطبوع يصدر فى مواعيد دورية ، سواء كانت هذه المواعيد يومية أو أسبوعية أو نصف شهرية أو سنوية أو نصف سنوية •

ولقد تطورت صناعة الصحافة فى القرن العشرين الميلادى نتيجة لعدة عوامل رئيسية منها :

١ — التقدم العلمى وما صاحبه من استخدام « للتكنولوجيا » فى مجال الاعلام والمجالات المتصلة به •

٢ — ظهور الصحافة الشيوعية — فى البلدان التى طبقت المذهب

الشيوعى — على أسس غير الأسس الاقتصادية التى عرفتها الصحافة الرأسمالية طوال تاريخها الطويل ٠

٣ — بروز ظاهرة التكتلات الاعلامية فى المجتمعات الرأسمالية المتقدمة ، وما تبعها من احتكارات ، حتى ان العديد من المجتمعات الغربية المتقدمة تصدت بالتشريع لمحاربة الاحتكارات ٠

٤ — ازدهار صحافة العالم الثالث بعد تخلص العديد من الشعوب من سيطرة الاستعمار ٠

ويتسم هذا التطور فى صناعة الصحافة بسمتين أساسيتين :

الأولى : تنصب على الشكل ، ويتجلى ذلك فى اختفاء الفرد المالك للصحيفة الى حد كبير فى كثير من دول العالم الرأسمالى المتقدم ٠ وتبعية الصحف فى ملكيتها الى شركات مساهمة ، ثم تطور الأمر الى الاحتكار ، ودخول عدة صحف فى شركة واحدة أو مساهمة عدة شركات فى عدة صحف ٠ وذلك تبعا لنظريتهم القائلة بأن الحلقة الضعيفة فى السلسلة تعوضها حلقة قوية ، وان ذلك يجنب الهزات الاقتصادية ٠ كذلك تطور الشكل فى صناعة الصحافة بضخامة الآلات والأجهزة والمعدات وأنواع المواد الخام من ورق وألوان وغير ذلك ٠

أما السمة الثانية : فتنصب على المضمون ، ومن البديهى أن الصحافة وهى مرآة المجتمع لابد وأن تعكس معتقدات المجتمع وأفكاره ووجهة نظره ، والمؤثرات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التى يتأثر بها المجتمع ٠ فمن الضرورى أن يتبع سيطرة الاحتكارات الرأسمالية على الصحف احتكار الأفكار ذاتها واحتكار الاعلام والمعرفة ، وأن تدافع الصحافة الماركسية عن سيطرة الطبقة العاملة ومبادىء الشيوعية ، وأن تخوض صحافة البلدان النامية معركة حامية الوطيس ضد الاستعمار والتدخل الأجنبى ومحاولة الاحتواء من القوى العظمى شيوعية أو رأسمالية ٠

والظاهرة الجديرة بالاهتمام فى المجتمع الرأسمالى المتقدم هى سيطرة الشركات الاحتكارية من صناعات أخرى — كصناعة الأسلحة —

على الصحافة ، بما يعود بالضرر على شعوبها وعلى العالم بأسره •
ويذهب « جواهر لال نهرو » الزعيم الهندى الأسبق وأحـد أقطاب دعوة عدم الانحياز فى القرن العشرين فى كتابه « لمحـات من تاريخ العالم » الى القول بأن شركات الأسلحة قاومت فكرة نزع السـلاح بالصحافة • وذكر أن احدى لجان عصبة الأمم التى انتدبت خصيصا للتحقيق فى مسألة المصانع الخاصة للأسلحة ، أكدت أن هذه المصانع قـد أبدت نشاطا كبيرا فى بث روح الفزع من الحرب ، كما أثبتت أن هـذه المصانع تعمل على نشر تقارير خاطئة عن المصروفات الحربيـة والبحرية لبلاد عديدة بقصد اغراء بلاد أخرى على زيادة نفقاتها على التسليح •• ! وأن هـذه الشركات اشترت الصحف للتأثير فى الرأى العام بمـا يخدم مصالحها •

وقـد ذكر الكاتب البريطانى الشهير « هارولد لاسكى » فى كتابه « محنة الديمقراطية » أن احدى شركات الأسلحة الفرنسية اشترت جريدتين فى فرنسا لتحقيق مصالحها الخاصـة • وعلق « لاسـكى » على ذلك بقوله : « ان القدرة على توجيه الأخبار وجهـة معينة هى نفسها القدرة على منع الجمهور من أن تصله المـادة التى يمكنه على أساسها أن يصدر أحكاما متزنة • وأن كل من يقارن الطريقـة التى عالجت بهـا الصحافة البريطانية موضوع نزع السلاح خلال الفترة من مؤتمر جنيف عام ١٩٣٢ بالأهمية الكبرى التى أضفتها تلك الصحافة على تتبع فضيحة تتعلق بأحد رجال الدين الانجليز فى الفترة نفسها لن يجد أقل صعوبة فى اكتشاف الطريقة التى يتكون بهـا الرأى العام فى احدى الدول الرأسمالية الديمقراطية » •

وسيظل يثار السؤال الذى تحدثنا عنه حـول حرفة الصحافة وصناعة الصحافة ورسالة الصحافة ؟ وهو حوار يثرى هـذه الأبعاد جميعها • ان الحوار حول فنية الصـحافة وحرفيتها واعتبارها صناعة يعكس التصور العام لمعنى الصحافة بأنها الاعلام ، الى جانب ما يعكسه من اهتمام خاص بالجريدة والمجلة • ان هـذا السؤال عن حرفيـة الصحافة وفنيتها وكونهـا صناعة يمكن أن يدور حول معظم وسـائل

الاعلام ، ويسير فى نفس دوائر النقاش • ولا بأس فى ذلك فالصحف من جرائد ومجلات هى التى أعطت لحضارتنا الحديثة معنى الاعـــلام المعاصر • والصحف من جرائد ومجلات هى الأم التى نشأ من أبنائها من فاقها فى بعض الوجـــوه ، ومن اختلف عنها فى الملامح والســـمات اختلافا جوهريا ، كالاذاعة التى اعتمدت على الكلمة المسموعة بدلا من الكلمة المكتوبة ، أو السينما التى اعتمدت على الصورة أساسا ثم الحوار بعد ذلك • ولكن يشد كل وسيلة من وسائل الاعـــلام بالصحف خيط يشمل الشكل والمضمون معا • لقد أخذت معظم وسائل الاعلام أشكال التحرير الصحفى والاعلان الصحفى والاخراج الصحفى وفصلتها على نفسها • كما أخذت الخبر وما يتشقق عنه من حديث وريبورتاج وغير ذلك وصنعت منه الكثير من مادتها الاعلامية •

ولقـــد سبقت الصحف معظم وســـائل الاعلام ، أو بمعنى أدق سبقت وسائل الاعلام « التكنولوجية » الحديثة كالراديو والتليفزيون والســـينما • ولكنهـــا لم تتخلف نتيجة ظهورهم ، بل استفادت من « التكنولوجيا » ، وظلت تضيف كل يوم قارئا جديدا وفنا جديدا •

ان الصحف أعطت وأخذت وأثرت وتأثرت ، ونجد ذلك بدرجات متفاوتة مع مختلف وسائل الاعلام ، وفى مختلف وسائل الاعلام •

وبرغـــم ذلك ظلت وظائف الصـــحافة الرئيسية فى المجتمع هى الوظائف التى صنفها علماء الصحافة منـــذ عشرات السنين • وهى : الاخبار ، والتفسير ، والتثقيف ، والتوجيه ، والتسلية ، والاعلانات التى تعد أخبار السوق وجزاء من العملية التسويقية للبضائع والخدمات• وان أضيفت الى وظائفها وظائف جـــديدة بحكم التطـــور الاجتماعى والمهنى • ولكن هـــذه الوظائف لا تسير على وتيرة واحـــدة ، فى كل الصحف ، أو فى كل المجتمعات • ومن ثم برز الاهتمام بضرورة وضع اطار شامل للاعلام فى المجتمع ، أو فلسفة شاملة للاعلام فى المجتمع ، وهو ما أطلق عليه نظريات الاعلام ، تلك التى تختلف من مجتمع الى آخـــر •

الفصل الأول
بين الصحافة والتاريخ

الزمان : ١٩١٨ .

المكان : باريس .

يلتقى سعد زغلول ببعض المصريين فى باريس وبينهم طه حسين ، ويدور الحوار بينهما .

سعد زغلول : ماذا تدرس فى باريس ؟

طــه حسين : أدرس التاريخ .

سعد زغلول : أو مؤمن أنت بصدق التاريخ ؟

طــه حسين : نعم ، اذا أحسن البحث عنــه والاستقصاء فيه وتخليصه من الشائبات .

سعد زغلول : أما أنا فيكفى أن أرى هـــذا التضليل وهــذه الأكاذيب التى تنشرها الصحف فى أقطار الأرض ويقبلها الناس فى غير تثبت ولا تمحيص ، لأقطع بعد ذلك بألا سبيل فى استخلاص التاريخ من هذه الشائبات . وانظر الى ما ينشر عنا فى مصر وفى باريس ، وحدثنى كيف تستطيع أن تستخلص منه التاريخ الصحيح [1] .

البعــد الفلسفى :

هــذا الحوار الذى دار بين الزعيم والأديب المصريين يصور لنا ذروة المشكلة التى نبحثها ، وهى العــلاقة بين التاريخ والصحافة .

والواقع أن هـذه العلاقة تربطها أبعاد متعددة ومعقدة ومترابطة . فاذا نظرنا الى بعدها الفلسفى نجد أن تفسير التاريخ شىء من الفلسفة، وموقف الانسان فى السياسة ونظرته الى قضايا المجتمع تحدد رؤيته التاريخية ، هـذا من جانب ، ومن جانب آخر تخضع الصحيفة باعتبارها وسيلة اعلام الى النظرية الاعلامية التى تسود فى المجتمع ، والى موقف الصحيفة من مفهوم الديمقراطية ، كما تخضع الصحيفة الى طبيعـة ملكيتها وظروف ادارتها وغير ذلك من العوامل التى تحدد شخصيتها . ومن العلاقة بين التاريخ على أساس أنه ليس أحداثا مجردة وباعتبار تفسيره فلسفة ، وبين الصحيفة كوسيلة اعلام تعيش فى نظام اجتماعى معين وتنتمى الى فكر وعقائد ولها شخصيتها المتميزة ، نجد أن مضمون العلاقة وشكلها بين التاريخ والصحافة لابد أن يختلف من فكر اجتماعى الى آخر ومن مجتمع الى آخر ومن جيل الى جيل .

تاريخ الصـحيفة :

البعد الثانى الذى يساعدنا فى استجلاء العـلاقة بين الصحافة والتـاريخ هو تأريخ صحيفة من الصحف حيث تصبح الصحيفة مادة تاريخية . وعندما يتعرض باحث لدراسة صحيفة ما دراسة تاريخية فان أسئلة رئيسية ينبغى أن يجيب البحث عنها هى : ما هى الصحيفة لمؤرخ الصـحافة ؟

* هل هى البواعث التى دعت الى انشائها واصدارها ؟
* هل هى الأوراق أو المجلدات التى تركتها لنا فى رفوف المكتبة ؟
* هل هى الكتاب والصحفيون الذين كتبوا فيها وتولوا أمرها . ومدى تأثيرهم فى الرأى العام والمجتمع وتأثرهم به ، سبقا لصدورها ، وامتدادا لمـا بعد توقفها ، وليس على صفحاتها فحسب ؟
* هل هى الفنون الصحفية التى احتوتهـا الصحيفة ، ومدى تطورها على صفحاتها ، ومدى تطويرها لذوق القراء ؟

لا شك عندى فى أن دراسة أية صحيفة لابد لها من أن تجيب على كل ذلك ، بل وما حول ذلك أيضا مثل شهود الرؤية المهتمين ، ان وجدوا ، ومثل أوراقها وملفاتها لدى الجهات المختلفة ، ومثل جهود الاداريين وأصحاب المهن الصحفية العاملين والمساهمين فى اصدارها واستمرارها .

التاريخ مادة صحفية :

البعد الثالث للعلاقة بين التاريخ والصحافة نراه اذا نظرنا الى التاريخ كمادة صحفية أو باب من أبواب الصحيفة أو صفحة تحريرية فى الصحيفة . وعندما يصبح التاريخ مادة صحفية فانه يكتسب أشكال التحرير الصحفى الى حد ما ، فنجد مثــلا أن نشر الوثائق لأول مرة يحمل عنصر الجدة الذى يعد عمادا من أعمدة تقييم الخبر . كما أن تفسير الخبر يحتاج الى لمحة تاريخية فى كثير من الأحيان تربط حلقات الأحداث وتجعل الخبر مفهوما لدى القارىء وذا معنى . كمــا نرى فى اسقاط حوادث التاريخ على واقــع معــاصر أبلغ تعبير عن رأى أو موقف فى جدل أو صراع اجتماعى قائم . هــذا الى جانب النوادر التاريخية التى تدخل فى باب الطرائف الصحفية . وكلما كان المؤرخ وثيق الصلة بالعمل الصحفى وله فكر سياسى واجتماعى واضح كانت كتاباته التاريخيــة التى تنشر فى الصحف أقــرب الى قلوب القــراء وعقولهم ، واكتسبت كتاباته التاريخية نفس الذيوع والانتشار والاقبال الذى تلقاه الموضوعات الصحفية الناجحة . يمكن اذن أن تكون المــادة التاريخية فى الصحف قريبــة من الخبر فى نشر الوثائق لأول مرة ، ويمكن أن تكون قريبة من التحقيق فى دراســة واقعة تاريخية اختلف المؤرخون حولها ، ويمكن أن تكون قريبة من مقال الرأى عندما يسقط المؤرخ أحوال المــاضى فى ضوء الحاضر . هــذا الى جانب الطرائف التاريخية بطبيعــة الحــال التى تسعى الى تسلية القــارىء وامتاعه وتثقيفه . ومن الجدير بالذكر أن من المجلات المتخصصة مجلات تختص بالتاريخ . وهى مجلات سيارة وليست نشرات عملية أو أكاديمية .

البعد الاجتماعى للتاريخ والصحافة :

ان بعدا رابعا نتبينه فى توضيح العلاقة بين التاريخ والصحافة بمعناها الواسع — الاعلام — هو البعد الاجتماعى • وهو بعد متشابك يشرح جذور العلاقة بين قيم المجتمع ومثله وبين تفسير التاريخ وعلاقة الفن بتفسير التاريخ • وسنضرب بألمانيا النازية مثلا على ذلك ، من دراسة للفيف من الباحثين الأمريكيين (٣) عن استخدامات الاتصال فى المجتمع ، حيث تذكر هذه الدراسة أن المجتمعات تفرز أنظمة من التعبير والافصاح متوازية ومتصلة بعضها ببعض ، تلك الأنظمة تعكس فى مركب اجتماعى شامل قيم المجتمع ومثله • وتحاول المجتمعات — بدرجات متفاوتة من الحماس — أن تبرز منطق هذه الارتباطات المتشابكة لقيمها ومثلها ، كاستخدام القصص و « الحواديت » فى تفسير التاريخ ، ولكن هذه التفسيرات تأتى من داخل المجتمع ، ولهذا فهى جزء من المركب الاجتماعى بمعانيه الشاملة • ان هذه التفسيرات ليست خارج نطاق المركب الاجتماعى ، وليست فوقه ، ومن ثم فان مثل هذه التفسيرات من مجتمع ما تضيف مستوى آخر الى المركب الاجتماعى دون أن تضيف دلالة جديدة • ان المجتمعات وهى تفسر نفسها بنفسها تهتم بصفة خاصة بابراز تاريخ يجعل هذه التفسيرات صحيحة • ولذا نرى الوعى كأنما صاغه فنان قصد أن يركب المعنى التاريخى والأحداث معا فى نموذج واحد حتى أن البداية لابد أن تؤدى الى النهاية • والتاريخ الألمانى يقدم لنا نموذجا للعلاقة بين الفن والتاريخ • فلقد كشف النازيون عن عنصر التأثير المتبادل بين الاثنين وجعلوه قاعدة لدعايتهم • لقد أعانتهم العلاقة بين التاريخ والفن على اضفاء قيمة جمالية على الحقيقة وعلى أن يجعلوا من الحواديت تاريخا • ان هذا الدافع لاضفاء قيمة جمالية على الحقيقة كان نفسه عنصرا أساسيا فى فهم التاريخ الألمانى حتى قبل ظهور الدعاية الهتلرية •

ويفسر « أندريه مروا » الدافع الجمالى أو الحافز الجمالى بحاجة الانسان الى قصص على شكل الحواديت ، « لأن حياتنا الحقيقية تمضى فى عالم غير منطقى ، ونحن نشتاق الى عالم خاضع لقوانين الروح ، عالم منظم • وفى الرواية نجد هـذا العالم الذى نسعى اليه ، حيث نستطيع أن نسعى الى عواطف بدون أن نعارض أنفسنا بنتائج العواطف الحقيقية • وهـذا ما هدف اليه المذهب الجمالى فى ألمـانيا ، لقـد أصبح واضحا أن الألمـان يحتاجون الى حقيقة جمالية لأنهم شعروا أنهم يعيشون فى عالم غير متجانس المنطق ، عالم لم يكونوا فيه متأكدين من تميز شخصيتهم القومية • ومن ثم لم يكونوا متأكدين من تميز شخصيتهم العـامة الفـردية ، وأنهم كانوا باختصار يشعرون أنهم مفتوحون للهجوم • هـذا التعرض للهجوم عليهم معبر عنه فى التاريخ الألمـانى بالخوف من جبهة سامية معادية ، ومعبر عنه فى الفن الشعبى بصورة المملكة الاقطاعية الواقعة تحت الحصار المستمر • والعـلاقة الخاصة لهذا التعبير فى صوره المختلفة والمستفيضة كانت كمـا يقول « مروا » محـاولة السـعى الى عواطف بدون أن نعـارض النفس بنتائج العواطف الحقيقية ، وفى هذا يجد المرء المعنى الأساسى وطبيعة الدعاية الألمـانية النازية •

الصحافة مصـدر للتاريخ :

بعد استعراض هـذه الأبعاد الأربعـة وهى البعد الفلسفى • والبعد الاجتماعى ، والتاريخ باعتباره مادة صحفية والصحيفة باعتبارها مادة تاريخية يبدأ السؤال التقليدى وهو ما أهمية الصحف باعتبارها مصدرا للتاريخ ؟ ، ولقـد ردد الدكتوران ابراهيم امام وأحمد بـدر بحماس وتأكيد قول الدكتور « جلبرت » ، أستاذ التـاريخ اليونانى بجامعة اكسفورد فى منتصف القرن العشرين الميلادى حين قال : لو كان لليونان صحف ، ولو أن صحيفة واحدة أو حتى صفحة واحـدة من صحيفة وصلت الى أيدينا لكانت معرفتنا بالتاريخ اليونانى أكثر حيوية

وأعظم مما هى عليه الآن • وهو قول يؤكد أهمية الصحيفة كمصـــدر للتـــاريخ بصفة عامة ، ولكن التفاصيل لا تجعل الصحيفة مصـــدرا سهلا من مصادر التاريخ ، وانما تجعله مصدرا يحتاج الى مهارة وجهد ومعرفة مسبقة بأحداث العصر وبطبيعة النشر الصحفى • فقد لا نجد الحدث التاريخى فى الصحيفة ، وليس معنى ذلك عدم وقوعه أو قلة تأثيره ، ولكن علينا أن نبحث عن علة عدم نشره ، لقـــد مس الأستاذ رشدى صالح [٣] هـــذه النقطة من زاوية الصلة الجبرية بين ما تقوله الصـــحيفة وما يصـــنعه النـــاس فى حياتهم ، وهـــو يفسر ذلك بأن الصحيفة اليومية من حيث الشكل والمحتوى هى احدى الوثائق المطبوعة للتاريخ الجارى • ومعنى ذلك أنها وثيقة ليوم أو بعض يوم مما يجرى فى حياة القراء ، واليوم لحظة من الزمن ستصبح ماضـــيا حين تأتى اللحظة الثانية ، وهـــو بذلك يرى أن مادة هـــذه الوثيقة تتغير تغيرا جبريا تفرضه مواكبة الصحيفة لأحداث الأيام •• أى أن هناك صـــلة جبرية بين ما تقوله الصحيفة ، وما يصنعه الناس فى تاريخهم اليومى ، لكن هـــذه الصلة الجبرية يقابلها مدى الحرية التى تمارسها الصحيفة فى اختيار مادتها ، فليس كل ما يقع فى التاريخ الجارى يظهر مطبوعا فى أعمدة الصحف فقد يكون هناك من الاعتبارات الخاصـــة لسياسة الصـــحيفة أو لمصـــالحها الاعلانية ما يمنع من نشر هـــذه الأخبـــار أو الأحداث أو الآراء ، وقـــد تواجه الصحيفة من الاعتبارات الخارجة عن ارادتها ما يضيق مجال اختيارها لهـــذه الأخبار أو الأحداث •

ان غيبـــة النشر معـــروفة أسبابه فى الرقابة على الصحف وفى الأزمات السياسية أو الحزبية • ولكن ظروف ملكية الصحف فى العالم الثالث ووجود الرقابة الذاتية مع عـــدم الاعلان عن الرقابة الرسمية فى كثير من الأحيان يجعـــل البحث التاريخى فى أسباب عـــدم النشر أكثر صعوبة •

واذا كانت غيبة النشر تمثل مشكلة للمؤرخ ، فان مشكلة الشائعات تسبب البلبلة ، ولقد أبرز البعد الاجتماعى مشكلة تفسير المجتمع لنفسه

بنفسه وهو ما تفعله الصحف فى كافــة المجتمعات كل يوم ، وعندما تحاول الصحف أن تفسر مجتمعا آخر فيما تتناوله من أخبار خارجية ومن موضوعات صحفية أجنبية فانها ترى بعيونها هى وليس بالعين الوطنية لتلك المجتمعات • ومن ثم لا فكاك للمؤرخ من مشكلة الشائبات•

تنقيــة الشائبات :

ان الصحف ليست المصدر الوحيد للتاريخ • ولكنها مصدر حيوى من مصادره ، وتنقية الشائبات هى مهمة المؤرخ فى كافة مصــادره • ولقــد أثار توفيق الحكيم (٤) بأسلوبه المتميز هــذه القضية فى حوار بين « العصا » و « البيريه » و « الحمار » ، فقالت العصا : هل المعول عليه فى كتابة التاريخ هى الوثائق الصماء أو شهادة الاحياء ؟ فقالت البيرية : وما هى الوثائق الصــماء ؟ انها شهادة الأحياء فى عصرها • الا اذا كان المقصود هو كتابة تاريخ معاصر ، لم يزل شهوده على قيد الحياة عند تدوينه ، فمثلا عند كتابة ثورة قديمة مثل الثورة العرابيــة لا يمكن أن يوجد أحد من الأحيــاء اليوم قــد عاصرها ، فليس من وسيلة لمعرفة ما حدث فيها الا الرجوع الى تلك الوثائق الصــماء أى المدونات والكتابات ، أى شهادات مدونة لمن كانوا أحياء فى وقتها • قالت العصــا : وما القول اذا كان المطلوب كتابة تاريخ فترة لم يزل شهودها من الأحياء ؟ فقالت البيريه : فى هــذه الحالة يكون من الواجب الاستماع الى شهادة الأحياء الى جانب الاطلاع على الوثائق الصماء ، ولكن قبل كل شىء لابد من تحديد القائم بعملية التدوين ، هــل هى الدولة أو الأفراد • اذا كانت هى الدولة فان الدولة لا تقوم بوظيفة المؤرخ ، ولكنها تتيح للمؤرخ أن يؤلف بأن تضع تحت يديه ما لديها من وثائق رسمية صماء وعليه هو أن يستخرج منها الحقائق مستعينا فى ذلك بشهادة المعــاصرين ومعايناته الشخصية كمــا فعــل أمثــال « ابن اياس » و « الجبرتى » •

فقال الحمار : اذن الدولة لا تكتب التاريخ حتى وان استعانت فى ذلك بمؤرخين ، فقالت البيريه : استعانت الدولة بمؤرخين أو تأليف المؤرخين فى ظـل الدولة يذكرنا بمـا كتبه المؤرخـون فى روما عن « كليوباترة » التى كانت روما تعتبرها العدو الذى اختطف حكامهـا « يوليوس قيصر » و «مارك أنطونيوس» ، ولذلك أشبعها مؤرخو روما فى ذلك العهد تجريحا وتشهيرا ، وصوروها فى صورة العاهرة الشرقية الفـاجرة ، ثم أنصفها بعـد ذلك المؤرخ الاغريقى « بلوتاركس » • باظهارها فى صورة أخرى • ولذلك ليس للدولة أن تكتب هى التاريخ ، حتى وان كلفت فى كتابته أنزه المؤرخين ، ولكن عليها أن تصدر الوثائق الرسمية التى يستمد منها المؤرخـون ما شـاءوا وتحت مسئولياتهم الشخصية •

فقال الحمار : وهل هـذا يحقق صدق التاريخ ؟ أو أنه يساعد على اضطرابه وخلطه وتعدد صوره تبعا لتعدد المتناولين له من المؤرخين المختلفين فى نظراتهم واتجاهاتهم ؟ فقالت العصا : فعلا هذا لا يحقق صـدق التاريخ ، ولكنه يحقق ابراء الدولة من تهمة استخدام سلطتها فى كتابة تاريخ قـد يوصف بأنه مفروض أو موجه •

فقال الحمار : يعنى على أى وضع كتابة التاريخ لا تسـلم من المخاطرة ، فقالت العصا : نعم ، لأن التاريخ شهادة كشهادة الشهود فى أى قضية أو حادثة • اقرأ أى محضر جلسة فى محكمة من المحاكم تجد الشهود قلما تتفق تماما فى النص الواحد على صورة واحدة من صور الوقائع •• وان هى فعلت بهذه الدقـة الحرفية شك القـاضى فى الشهادة ، وخشى أن تكون ملفقة أو مرتبة ترتيبا ذكيا ماهرا لا يعكس الحقيقة تماما • فقال الحمار : وكيف نعرف الحقيقة اذن والصـدق فى التاريخ ؟ فقالت العصا : الله أعلم •• وقالت البيرية : ــ نعم ــ الله أعلم ــ ولكن على قـدر اجتهـادنا نحن البشر فان استخلاص الصدق أو الحقيقة قـد نصل اليه عن طريق مناقشة الشهادات ومواجهة

بعضها بعضا والمقارنة بينها ووزنها كما توزن الدنانير الذهبية لنعرف ثقل كل منها ، لنخرج من كل هذا الفحص بما هو أقرب الى التصديق • فقال الحمار : أظن هـــذه هى وسيلتنا المتاحة لنا •• أما اذا لم نجد أمامنا سوى مؤرخ واحد أو شاهد واحد يروى لنا قصة واحدة بصورة واحدة ، فليس لنا اذن أن نقارن أو نزن أو حتى نفكر • فقد تجمدت عقولنا على هـــذه الصورة وعندئذ نحن وحظنا ، اذا كانت صـــادقة فالحمد لله ، أما اذا كانت زائفة فانا لله وانا اليه راجعون •

لقد فجر توفيق الحكيم فى حوار فرسانه الثلاثة « العصـــا » ، و « البيريه » و « الحمار » أزمة الصوت الواحد فى رواية التاريخ ، فاذا كانت الصحف فى مجتمع لا تتحـــدث الا بلسان واحد فانهـــا كمصدر للتاريخ تعد رواية واحدة وصوتا واحدا تنطبق عليه مخاطر الرواية من طرف واحد ، فالمشكلة اذن ترتبط بمـــدى الحرية المكفولة للصحف فى المجتمع ليطمئن المؤرخ الى الرواية من مصادر متعددة وليس من مصدر واحـــد رسمى •

المشكلة الأولى اذن فيمـــا يتعلق باعتمـــاد المؤرخ على الصحف كمصدر للتاريخ هى مشكلة الحرية ، ثم تأتى المشكلة الفنية المرتبطة بطبيعة العمل الصحفى نفسه ، وقد أكد الدكتور حسنين عبد القادر (٥) أن أهم هـــذه المحاذير أو المشاكل عندما تعرض للعلاقة بين الصحافة والتاريخ هى خيال الصحفى • فخيال الصحفى يلعب أحيانا دورا كبيرا فى سرد الأخبار فيصفها بألوان زاهية ويبالغ فى وصف الأحداث ويضيف من عنده أشياء لا تمت الى الحقيقة بسبب ، وهـــذا كله بغية جذب أنظار القراء واثارتهم لقراءة الخبر والتعليق بالصحيفة ، ومن ثم ضمان رواجها والحصول على أكبر ربح ممكن ، وهذا النوع من الأخبار هـــو ما يسمى بالأخبار الملونة •

وعندما يعقـــد مقارنة بين التاريخ والصحافة يقول ان الصفات الواجب توافرها فى المؤرخ والصحفى واحدة ، ويكاد يكون النهج الذى

يسير عليه كل منهما فى كتاباته وبحثه ونقده واحدا مع اختلاف يسير فى الحالين • وربما كان سر الاختلاف بين الاثنين فى الصفات والنهج الى عامل الزمان ، فالمؤرخ يعمل فى دائرة المـاضى فحسب ، بينما يعمل الصحفى فى دائرة الحاضر والمستقبل ، بل انه يتجاوزهما أحيانا ويعمل كمؤرخ فى دائرة المـاضى • ويتحكم عامل الزمان أيضا من وجهة أخرى فى عمل الاثنين ، فالمؤرخ متحرر فى عمله من كل القيود والأغلال ، فلديه ما يشاء من الوقت لانجاز عمله على الوجه الذى يبتغيه ، فليس المؤرخ مطالبا بالانتهاء من عمله فى يوم محدد أو ساعة محددة ، أما الصحفى فانه يتحكم فيه عنصر الزمان تحكما شديدا ، فأمامه ساعات فقط لانجاز عمله اذا كان يعمل فى صحيفة يومية وأمامه أيام محدودة اذا كان يعمل فى صحيفة أسبوعية ، وهذه السرعة التى تتسم بها أعمال الصـحفى — خصوصا الذى يعمل فى الصحافة اليومية — قد تجعل انتاجه فجـا أو ضحلا أو ناقصا فى أغلب الأحـوال ، بينما يتصف التـاريخ عادة بالنضوج والعمق والاكتمال والتمام ، والصحفى معذور لأنه مطالب بتقديم انتاجه فى ساعة معينة حتى يلحق المطبعة وتظهر الصحيفة فى موعدها المحـدد •

وبرغم التحفظات التى تحيط بالصحف كمصـدر للتاريخ ، وهى تحفظات تتعلق بالشائبات فى الرواية تبقى حقيقة لا خلاف عليها وهى أن الصحف تقدم لنا نظرة شاملة للحياة ، وهـذه النظـرة ضرورية للمؤرخ حتى لكأنه عاش العصر الذى يكتب عنـه من خـلال قراءاته لصحفه •و هـذه النظرة الشاملة برغم كل ما فيها وما عليهـا تجعل الصحف مصدرا متفردا من مصادر التاريخ •

الهـــوامش

(١) طـــه حسين : الأيام ، الجزء الثالث ، دار المعارف ، ١٩٧٢ ، ص ١٤٩ .

(٢) Bill. Kinser and Neil Klevman (James E. Combs and Michael w. Mansfelid — Drama In Life. The uses of com—munication in society. Hastings Hanse Publishers. New York, 1979, P. 388 - 409.

(٣) جلال الدين الحمامصي : الصحيفة المثالية ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٢ ، صفحة ١٩٥ ، ١٩٦ (ملاحظة : بعض صفحات هذا الكتاب بقلم اساتذة آخرين اشار المؤلف اليهم وخصهم بذلك) .

(٤) توفيق الحكيم : كتابة التـــاريخ ، جريدة الأهـــرام ، بتاريخ ١٩٧٦/٥/٢٢ .

(٥) د. حسنين عبد القادر ، الصحافة كمصدر للتاريخ ، الطبعـــة الثانية ، ١٩٦٠ ، ص ٢٠٤ ، ص ٢٠٥ .

الفصل الثانى

بين القصة الأدبية والقصة الخبرية

١ ــ مدخــل :

نختار من عالم القصة الواسع القصة القصيرة (short story) على وجه الخصوص • ونختار من عالم الخبر المتعدد القصة الخبرية (News story) على وجه التحديد [١] • ونرى بينهما علاقة النسب التاريخى ، ثم علاقة التأثير والتأثر ، ثم وجوه المقارنة المفصلة • وعلى ضوء ذلك كله نحاول أن ندخل القصة الخبرية من أبواب النقد فتحظى بما حظيت به القصة الأدبية من عناية فى التقنين والتمحيص •

٢ ــ تعريف القصتين :

ما أكثر تعريفات القصــة القصيرة فى كتب الأدب والنقــد •• وما أكثر تعريفات الخبر فى كتب الصــحافة والاعلام • ولكننا نختار من عشرات التعريفات تعريفا واحدا للقصة القصيرة هو ــ فى رأينا ــ أحكمها وأكثرها احاطة بما سبقه • انه تعريف الدكتور الطاهر مكى[٢] ونصه ، بل وشكل كتابته يبدى شدة وضوحه • وهو يقول ان القصة :

٢ ــ ١ * حكاية أدبيــة •

* تدرك لتقص •
* قصيرة نسبيا •
* ذات خطة بسيطة •
* وحدث محــدد •
* حول جانب من الحياة •

* لا فى واقعها العادى والمنطقى .
* وانما طبقا لنظرة مثالية ورمزية .
* لا تنمى أحداثا وبنيات وشخوصا .
* وانما توجز فى لحظة واحدة ، حدثا ذا معنى كبير .

٢ — ٢ هـذا هو التعريف الذى نختاره للقصة القصيرة . ونختار لتعريف القصة الخبرية التعريف الذى يرى أنهـا قالب فنى لصياغة الخبر ، مثل قالب السرد أو قالب الحديث المنقول أو ما شابه ذلك . وقالب القصة الخبرية هو (شكل الهرم المقلوب) ، بمعنى أن الصحفى يأتى بالفكرة الرئيسية أو ما يسمى بالصدر The Lead أولا ، ثم يأتى بالتفاصيل أو الجسم The body بعد ذلك (٣) .

٣ — الجذور التاريخية للقصتين :

٣ — ١ — فى فجـر البشرية :

٣ — ١ — ١ لا شك أن القصة القصيرة فى الأدب ، والقصـة الخبرية فى الاعلام ، تنبعان من مصدر تاريخى واحـد . وفى لسان العرب لابن منظور نجد (القصة : الخبر وهو القصص . وقص على خبره يقصه قصـا قصصا : أورده . والقصص : الخبر المقصوص) وأول قصة فى تاريخ البشرية وهى قصة قتل قابيل لأخيه هابيل تعـد قصة قصيرة وقصة خبرية فى التلقى البشرى . وهـذه القصـة تلبى نزوع الانسان — منذ أسكنه الله الأرض الى يومنا هـذا .. والى كل يوم جديد — للقصص . ان مراقبة تجمع الناس فى عواصمنا العربية ، فى العقـد قبل الأخير من القـرن العشرين الميلادى ، أمام أجهـزة التلفزيون كل ليلة لمشاهدة المسلسلات التلفزيونية يردنا مباشرة الى شاعر الربابة فى القرن التاسع عشر الميلادى ، والى ما قبله من حلقات القصاصين . انها فى جملتها تلبى نزوعا انسانيا للقصص .

٣ — ١ — ٢ بل ان هـذا الميل الحديث لدى الناس الى الحوار المنمق ، والى الأمور المتجافية مع العقل فى بعض الأحيان ، يذكرنا بالميل القديم الى الأساطير والسحر والخرافات • وهى فى جملتهـا تلبيـة للنزوع الانسانى للقصص •

٣ — ١ — ٣ والقصة الأدبية وان كانت أحدث الأجناس الأدبية ظهورا ، فهى أعرق ألوان الأدب تاريخا • هكذا يقول النقاد (٤) • وهم يعللون ذلك بأنه منذ جاء الانسان الى الحياة كان الطفل يقفز ويضرب ، يعمل ويغنى ، يتحدث ويخترع ، ويحكى فى الوقت نفسه • وتجـذب الجدة حفيدها بالحكاية ، أو ترعبه بالأسطورة ، ويلقى الانسان آخر ، بعيدا عنشواغل الحياة والعيش ، فيملآن فراغهما بسمرتلعب فيهالحكاية دورا ملحوظا • خرافة تمثل خوارق الطبيعة ، أو مجونا يثير عواطف السامع ، أو سخرية تبعث على الضحك ، أو شيئا يهدف الى الموعظة والتربية • وكان القص على لسان الحيوان من أقدم ما عرف الأدب •

٣ — ١ — ٤ وفى مقابل رأى النقاد عن فجر القصة بشريا يذهب أساتذة الاعلام (٥) الى القول بأن الشائعة هى أول أشـكال الاعلام القديم • والأخبار فى فجر البشرية تتحور وتتضخم وهى تنتقل من الفم الى الأذن ، بل ان هـذه الأخبار يعتريها التغيير والتشويه بحيث تضيع حقيقتها فى أحيان كثيرة • وأساتذة الاعلام يتساءلون فى حيرة : أين الواقع وأين الخيال فى نصـوص الاعلام القديم ؟ بل يقولون : اننا حين نقرأ (هيرودوت) — أول من كتب التاريخ — لا ندرك ان كان يكتب تاريخا أو أسطورة ! •

٣ — ١ — ٥ ولا ينكر باحث العلاقة بين الأسطورة (٦) أوالخرافة وبين ما وصلنا من نصوص اخبارية قديمة أو نصوص أدبية قديمة • ولكنى لا أتفق مع ما ذهب اليه معظم أساتذة الاعلام بأن الشائعـة هى أول أشكال الاعلام القديم • وحجتى فى ذلك تنبع من تصـورى للمجتمع البدائى بأنه كان شديد البساطة والوضوح • والشائعة مفهوم

مركب ومعقد لرواية خبر أو موقف • ولم يكن المجتمع البدائى قــد وصل الى قدر من التركيب والتعقيد يجعــل الشائعة هى أول أشكال الاعلام فى تاريخه • الأسطورة نعم ، لأنهــا حكاية خيالية ، ومحاولة تفسير لوقائع الحياة • لقد علقت الأسطورة أو الخرافة برواية الخبر البدائى ، وكانت بعض الأخبــار البدائية قصصا • وسنجد فى سياق النسب التاريخى بين القصة الأدبية والقصة الخبرية أنهما ظلا توأمين فى رحم واحد ، حتى شب كل منهمــا عن الطوق ، وأصبح لكل منهما عالم خاص ، وكان ذلك فى القرن التاسع عشر الميلادى •

٣ — ٢ — فى الحضارات القديمة :

٣ — ٢ — ١ عندما تذكر الحضارات القديمة فى القصص تذكر الحضــارة الهندية القديمــة ، والحضــارة المصرية القديمة • وكانت الدراسات الأدبية الأوربية حتى أواخر القرن التاسع عشر ، التى تتبع نشأة القصة فى ألوانها المختلفة تجعل من الهند وحدها مصــدر هــذا القصص • ومع بداية القرن العشرين اكتشفت صفحات من القصــة المصرية الفرعونية مما جعل العالم الفــرنسى « جاستون ماسبيرو » (١٨٤٦ — ١٩١٦) يقول ان القصص المصرى الذى وجــد فى أوراق البردى يعود الى القــرن الثالث عشر أو الرابع عشر قبل الميلاد • وأنه ليس للهنــد قصص يقــرب من ذلك التاريخ • ومن ثم يقــرر بأن القصص المصرى هو أقدم ما نعرف — حتى الآن — من الأدب العالمى فى القصة • ويرى المستشرق البريطانى (رتشــارد برتون) (١٨٢١ — ١٨٩٠) الذى ترجم كتاب ألف ليلة وليلة الى اللغة الانجليزية ان القصص الوعظى موطنه بلاد النيل • ومنها انتقل الى الشام وآسيا الصغرى ثم اجتاز البحر الى اليونان •

٣ —٢ — ٢ وفى مجال الخبر ، كانت الحضارات القديمة طورا متقدما لنقل الخبر البدائى ، أو بمعنى أدق أخبار المجتمعات البدائية • فبعد أخبار الصيد أو اغارة قبيلة على أخرى أصبحت أوامر الملوك ،

وطرق جباية الضرائب ، واعلان القوانين ، هى صور الأخبار المعاصرة فى الحضارات الفرعونية والآشورية والبابلية والصينية القديمة ، وغيرها من الحضارات القديمة • وفى الحضـــارة الاغريقية [٧] أصبح الخبر يحمل الى جانب ما سبق الأخبار الرياضية وأخبار المسرح • وفى روما كان القيصر يأمر بنشر الأخبـــار اليومية بما فيهـــا أخبار الفضـــائح والجرائم ليشغل الناس عن فساد الحكم •

ومن حيث الشـــكل أصبح الخبر فى الحضارات القديمة مكتوبا بعد أن كان قاصرا على المشافهة ، فعلى جدران المعابد وفى الميادين سجل الملوك أوامرهم ومراسيم القوانين ، ليعرفها الناس ، ويعملوا بهـــا • كما سجلوا أخبار المعارك الحربية التى خاضتها جيوشهم •

٣ — ٣ — فى الجاهليـــة :

٣ — ٣ — ١ ولقد شاع القصص عند العرب فى الجاهلية • وكان المحور الذى تدور حوله قصصهم هى الحروب التى تسمى أيام العرب• كيوم « داحس والغبراء » ويوم « الفجار » ويوم « كلاب » ويوم « ذى قار » • هذا الى جانب أخبار الحب والهوى ، ثم أخبار السحر والكهانة ، وحكايات الجن التى تمثل أساطير العرب وخرافاتهم • وهكذا يجتمع فى القصة الجاهلية علاقتها الوثيقة بالقصـــة الخبرية فى رواية الوقائع الحربية ، ثم علاقتها بالأساطير والخرافات فى أخبار الجـــن والسحر والكهانة • وكانت أمثال العرب جملا مكثفة تلخص قصـــة أو واقعة فصارت مثلا [٨] •

وكان للقصة فى الجاهلية وظيفة التوجيه المعنوى الذى يقوم به الاعلام الحربى فى عصرنا الحالى • فقد كان القصـــاص فى الجاهلية يصحبون المقاتلين ، يحرضونهم على القتال ويحمسونهم • وقـــد استمر بعضهم فى ذلك بعد الاسلام وان اختلف المضمون بطبيعة الحـــال • وذكر أن ســـعد بن أبى وقاص قائد القادسية جعل ثلاثة من أعـــلام القصاص هم عمرو بنمعد يكرب ، وقيس بن هبيرة ، وشرحبيـــل بن

السمط يثيرون عزائم الجند قبل لقاء القادسية • وقــد استفاد المخرج صلاح أبو سيف بهذا استفادة بارعة فيفيلم (القادسية) (١٩٨٠) وطوع مشهد القصاص وهم يحمسون الجند للغة السينما المعــاصرة تطويعا معبرا ناجحا •

٣ ــ ٣ ــ ٢ واذا تحدثنا عن الخبر بمفهومه الصحفى فى الجاهلية نجد أن مكة كانت محطة أخبار • وكانت رحلتا الشتاء والصيف فرصتين لتداول الخبر ، وكانت أسواق العرب فى الجاهلية من مصادر الأخبار • ولم يكن الخبر قائمــا على المشافهة وحسب ، بل ان العقود الهــامة أو المواثيق كانت تكتب • ومثال ذلك حلف الفضول فى الجاهلية الذى تعاهد فيه أهل مكة على نصرة الضعيف ورد الحقــوق الى أصحابهــا وماشابه ذلك • وهــذا الحلف الذى قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الاسلام انه لو دعى لمثله فى الاسلام لأجاب • ومن الروايات المشهورة فى تاريخ العرب الأدبى المعلقات • تلك القصائد البارعة التى يقولون أنهــا كانت تعلق فى أستار الكعبة • والواقع أن نظــرتنا الى أهمية الكعبة فى الجاهلية من الناحية الخبرية هى أنها كانت نقطة التجمع المركزى للعرب • فقــد كان الطواف حولها قائما قبل الاسلام • وكانت أندية قريش حولها • وكانوا يعلقون فى داخلها أغلظ مواثيقهم ، ويعلقون فى أستارها أبرع قصائدهم •

٣ ــ ٤ ــ عند ظهور الاسلام وفى الدولة الاسلامية :

٣ ــ ٤ ــ ١ وبظهور الاســلام ، ونزول القرآن لفت القصص القرآنى قلوب وأسماع وأبصــار السامعين • شأن القصص القرآنى فى ذلك شأن سائر آيات الوعيد أو التبشير أو التدبر شأن القرآن كله • ويحدثنا التاريخ عن رد الفعل الأول لدى الجبهة الرافضة للاســلام ــ فيما يتعلق بالقصص القــرآنى ــ فى صورتين ، الصــورة الأولى جلوس بعض كبار المشركين من القصاصين مثل النضر بن الحارث عقب قيام الرسول صلى الله عليه وسلم من مجلس يذكر فيه الله ويحدث

قومه بالقرآن • يشوش على دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم • ويقول : هلموا يا معشر قريش أحدثكم بأحسن من حديثه • ثم يحدثهم أقاصيص فارسية عن رستم واسفانديار وما شابه ذلك • والصورة الثانية ادعاء أهل الكتاب من اليهود بأن اختلافا فى الأسماء أو التواريخ أو محاولة التشكيك مثل السؤال عن أهل الكهف وعددهم وعدد سنوات مكوثهم فى الكهف • برغم أن قصة أهل الكهف ليست واردة فى التوراة • بل ولا فى الانجيل • فهى ترجع الى عهد لاحق لعصر المسيح عليه السلام • وهى من الموروث المسيحى ، ولكن اليهود أرادوا بحض قريش على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول ماذا كان أمرهم فان حديثهم عجب ؟ أرادوا الفتنة وسلوك سبل التشكيك • وظل القصص القرآنى ساحة للمفسرين والمجتهدين • وما خلفته لنا كتب التفسير فى ذلك يعبر عن التراث الذى يقول فيه المنصفون أنه يحوى كنوزا من المعرفة ، ويحمل فى الوقت نفسه شوائب وعوالق سيئة •

٣ — ٤ — ٢ فلما جاء العصر الحديث منذ القرن العشرين الميلادى برزت محاولات متعددة للاستفادة من قصص القرآن فى البحوث والدراسات • ثم فى النصف الثانى من القرن نفسه أمكن للتلفزيون والراديو أن يأخذ من هذا النبع الفياض الثرى مادة جذابة ومفيدة • وفى هذا المجال المعاصر يستوقف الباحث فى القصص القرآنى محاولة قام بها الدكتور محمد أحمد خلف الله فى العقد الخامس من القرن العشرين الميلادى باعداد بحث لدرس القصص القرآنى على المنهج الأدبى للحصول على درجة الدكتوراه فى كلية الآداب من جامعة القاهرة • ولكن الجامعة ممثلة فى لجنة المناقشة رفضت ذلك البحث • ثم نشر الباحث عمله فى كتاب يحمل عنوان (الفن القصصى فى القرآن الكريم نشر لأول مرة عام ١٩٥٣ م •

٣ — ٤ — ٣ ولقــد تصــدى للرد على الباحث عالمون بالدين الاسلامى والتفسير والأدب وذهب بعضهم الى اثبات شبهة الكفر • وانى لا أستطيع تأكيد الاتهام فلست ممن يتهمون بالكفر ، ولكن ممن يناقشون وينقدون البحث العلمى ، وينظرون فى منهج البحث •

٣ — ٤ — ٤ لقــد أقام المؤلف بحثه على المسلمات التالية :

(أ) القــرآن كتاب الله •

(ب) القــرآن وهو كتاب الله فيه قصص •

(جـ) القصص الوارد فى القرآن لا يفهم ولا يستقيم بغير المنهج الأدبى •

(د) المنهج الأدبى للقصص يتلخص فى حرية القــاص فى عدم التقيد بالواقعة التاريخية ، بل وعدم التقيد بصدق الخبر •

٣ — ٤ — ٥ ولكى يثبت المؤلف صدق مسلماته ، أورد ادعاءات بعدم مطابقة بعض القصص القرآنى للتاريخ المعروف لدى أهل الكتاب السابقين • ولم يورد الرد الاســلامى التقليدى عليها • فليس ذلك بطبيعة الحال فى صالح الحيثيات التى يقيم عليها أحكامه فى البحث •

٣ — ٤ — ٦ والخطأ المنهجى فى هذا البحث يرتكز فى أن الباحث اعتمد على القرآن بوصفه كتاب الله ، ولم يعلن وصفا آخر للقرآن • وما دام الباحث يتخــذ القرآن باعتباره كتاب الله مصدرا أن يسلم بوصف القرآن لنفســه بأنه صادق وأنه لا ريب فيه ، والا تناقض الباحث مع نفسه ، ومع المصدر الأول من مصــادر بحثه • ثم الخطأ الثانى هــو حبس نفسه داخل فكرة ثابتة متسلسلة ، وهى أنه لا يمكن فهم القصص القرآنى الا بالمنهج الأدبى • وبذلك أغلق الباحث الباب على نفسه داخل زنزانة • ولو أنه نظر الى لوحة « الموناليزا » للفنان « ليوناردو دافنشى » لرأى أنهــا تبتسم له من زوايا متعددة ، وحيثما

وقف رأى بسمتها • كذلك فهم القصص القرآنى يمكن أن يكون بمناهج متعددة • دون المساس بالصدق المطلق الوارد فى القصص •

٣ — ٤ — ٧ ولقد ذهب مفسرون سابقون لعصرنا فى ذلك الى أبعد مما رأى الباحث الدكتور محمد أحمد خلف الله • ولكنهم تمسكوا بصدق النص فى روايته التاريخية وفى أخباره ووقائعه تمسكا كاملا • نأخذ مثلا قصة مشهورة فى التاريخ العربى هى قصة (الفيل) التى وقعت فى الجاهلية ، وأصبحت قصة مشهورة فى التاريخ الاسلامى عندما ورد ذكرها فى القرآن الكريم • ولقد استوقف تفسير محى الدين ابن عربى المفسر الصوفى لهذه القصة المتصوفين والباحثين بل وبعض المستشرقين [٩] •

ان قصة أصحاب الفيل روتها سورة من قصار السور فى القرآن الكريم هى سورة الفيل • تقول القصة ان الملك الحبشى «أبرهة الأشرم» عندما قاد جيشه ومعه الفيلة الى مكة لهدم الكعبة ، وصرف الحجاج عنها ، فوت الله عليه غرضه ، وأرسل جماعة من الطير فأفنت جيشه ، ملقية عليه حجارة من سجيل ، وجعلهم بذلك كعصف مأكول • ويفسر ذلك عادة بطاعون من الجدرى أرغم الملك « أبرهة » على الانسحاب •

وابن عربى يقول : قصة أصحاب الفيل مشهورة وواقعتهم كانت قريبة من عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى احدى آيات قدرة الله وأثر من سخطه على من اجترأ عليه بهتك حرمه ، والهام الطيور والوحوش أقرب من الهام الانسان لكون نفوسهم ساذجة • وتأثير الأحجار بخاصية أودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر • ومن أطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف أمثال هذه • ويعلق المستشرق أجنتس جولد تسهر قائلا :

« وقصة الفيل لا تقبل التأويل • ولكن ابن عربى يقابل الأحداث التاريخية بالحقائق العليا ، فيرى أن أبرهة هو النفس المظلمة التى

قصدت الى تخريب كعبة القلب الذى هو بيت الله بالحقيقة . وأراد أن يصرف حجاج القوى الروحانية الى « قلس » الطبيعة الجسمانية التى بناها وأراد تعظيمها . وهكذا يفسر ابن عربى تفصيل حملة أبرهة ، وتخييب أمله ، بأعمال نفسية أخلاقية : الطير ، الحجارة المرمية ، وكل ما الى ذلك من الظواهر المرافقة ، حتى الفيل لا يفلت من ذلك التأويل فهو شيطان الوهم » . وهـذا الذى يسـميه ابن عربى التطبيق أى المحاذاة أو الموازاة . هو أقرب ما يكون الى ما نسميه فى لغة النقـد المعاصر المعادل الموضوعى .

ويستطرد المستشرق أجنتس جـولد تسهر قائلا : « فى الأول يكشف التفسير الصوفى المعنى الحقيقى المحجوب تحت كلمات يبدو أنها غير ذات دلالة ، وفى الثانى يحتفظ المعنى اللفظى الظاهر بحقه الكامل . فاذا أخبرت عن المعجزات وجب الاعتقاد الحرفى بتحقق هذه المعجزات ، واذا قص أحداثا عن أشخاص أو أمم وجب اليقين بالحصول التاريخى لهذا القصص . والتفسير يضع هذه القصص على طريق الوعظ والتأثير الخطابى فحسب . وفى موازرة أحداث العالم الروحانى ، ويناسب بين هـذه وتلك وهو التطبيق » .

٣ — ٤ — ٨ هكذا رأى ابن عربى فى النص القرآنى . الصـدق الكامل فى الرواية وفى الخبر . وحرية الفهم لدى المتلقى . لا حرية الأديب فى عدم التطابق بين الواقعة التاريخية أو الخبر وبين النص . كمـا فهم الدكتور محمد أحمـد خلف الله الذى قال : ان فهم القص القرآنى فهما أدبيا يجنبنا ما أثير حول اختلاف بعض الوقائع التاريخية الواردة فى النص القرآنى عما ورد عند أهل الكتاب من اليهود . وكان رد عبد الكريم الخطيب عليه فى هـذه النقطة انه مثل الدبة التى أرادت أن تجنب صاحبها ذبابة وقفت على وجهه وهـو نائم ، فألقت عليهـا صخرة قضت عليه . وعبد الكريم الخطيب ألف كتابا بعنوان (القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه) يعد ردا على كتاب الدكتور محمد أحمد

خلف الله • ولكن ينقصه بعض الجوانب المتعلقة بالرد على منهج البحث الذى استخدمه الدكتور محمد أحمد خلف الله •

٣ — ٤ — ٩ وعن القصص القرآنى يقول عبد الكريم الخطيب[١٠] ان القصص أحد الأساليب التى حملها القرآن ليحاج بهـا الناس ، وليقطعهم عن الجدل والماحكة شأنه فى هـذا شأن ما جاء فى القـرآن من أساليب الاستدلال والمناظرة ، والتعجيز ، والوعيد ، والتهديد •• وغيرها من المشاهد والمواقف المبثوثة فى القـرآن • ويضيف محددا (ليس القصص القرآنى الا القرآن الكريم فى صدقه المطلق) ويؤكد : لقـد انخدع بعض الدارسين المحدثين بكلمـة قصص التى جعلهـا القرآن عنوانا دالا على ما ذكر من سير الأولين وأخبار الغـابرين ، فوقع لفهم هؤلاء أنهم قد يكونون من المجتهدين فى الاسلام أو المجددين فى الأدب اذ هم أخذوا القصص القـرآنى بمعايير القصص الأدبى بما فيه من تلفيقات الوهم والخيال •• وقـد جرهم هـذا أو جرأهم على القول بأن القصص القرآنى ليس كله حقا وصدقا ، اذ ليس الحق والصدق من مقاصده ، وانما هو مسوق للاثارة الفنية التى تجىء من ورائها العبرة والعظة ، وأنه لا اثارة للفن اذا التزم حـدود الحـق والصـدق •• اذ أن الفن فى صميمه حـرية ، ولا حـرية مع الزام والتزام • وقـد اندفع أصحاب هـذا الرأى الى أبعد من هذا فقايسوا بين الله وبين الانسان ، فما الله فى حسابهم هنـا الا فنان ينزل على حكم الضرورة والقصور ، فيسوى قصصه على نحو ما يسوى الفنانون قصصهم ، من مزجها الحقيقة بالخيال والواقع بالوهم والمحال • ثم يخلص الى القول بأن « القصص القرآنى هو أنباء وأحداث تاريخية ، لم تتلبس بشىء من الخيال ، ولم يدخـل عليهـا شىء غير الواقع • ومن هـذا فقد اشتمل على ما لم يشتمل عليه غيره من قصص ، من الاثارة والتشويق ، مع قيامه على الحقائق المطلقة ، الأمر الذى لا يصلح عليـه القصص الأدبى بحال أبدا » ويقول : « هـذا القصص الذى جاء به القرآن الكريم لم يكن تأريخا للحياة كلها وأحداثها ، وانما هو

عرض لبعض المواقف ، وكشف عن بعض الأحداث التى من شأنها أن تحدث فى النفس أثرا ، وتقيم فى الضمير وازعا وتفتح العقل والقلب على مواقع ماثلة للعبرة والعظة » .

٣ — ٤ — ٩ ولعل ما أثير حول القصص القرآنى فى بحث الدكتور محمد أحمد خلف الله وآزره فيه الأستاذ أمين الخولى . يعد امتدادا لمـا أثاره من قبل الدكتور طه حسين فى كتابه الشعر الجاهلى باستخدام منهج الشك الديكارتى والذى تبين للنقـاد والباحثين فيمـا بعد أن المستشرق مرجليوث **Marigoliouth** قـد سبق الدكتور طه فى الشك فى الشعر الجاهلى . وكتب الدكتور ما كتبه دون أن يذكر ذلك .

وقضية الشك فى الشـعر الجاهلى قديمة فى تاريخ الدراسـات العربية (١١) . ومن أبرز الدارسين العرب الذين تكلموا فيها محمد بن سلام الجمحى (١٣٩ — ٢٣١ هـ) . ثم فى القرن التاسع عشر (١٨٦٤م) تناول المستشرق (فولدكة) هـذا الموضوع فأشار الى الشكوك التى يثيرها مظهر الشـعر الجاهلى ولكن أهم المستشرقين بحثا فى هـذا الموضوع مرجليوث Marigoliouth الذى نشر بحثه عـام ١٩١٦ عن الشعر الجاهلى فى المجلة الآسيوية الملكية — بعنوان (The origins **of** Arabis Portry) ورجح فيه أن هـذا الشعر الجاهلى انما تم نظمه وتأليفه فى العصور الاسلامية ودسه ونحله الوضاعون .

٣ — ٤ — ١٠ — وهـذه المحاولات — فى رأيى — هى انعكاس لانهيار العقل العربى المصرى عند اتصاله بالعقـل الأوربى فى النصف الأول من القرن العشرين الميلادى فيما يتعلق بحرية البحث . لقـد استخدم كثير من الباحثين اصـطلاح المنهج ، ومنهج البحث فى ذلك الوقت بنوع من الفرح والانبهار كأنهم عثروا على كنز مدفون . ونظرا لحداثة عهدهم بهذه (اللعبة) الجديدة مناهج البحث ، وقعوا فى أخطاء فادحة وفق ما يقضى به البحث العلمى وما تحكم به مناهج البحث . وكان كتاب الدكتور محمد أحمد خلف الله صورة من هـذه الصور .

٣ — ٤ — ١ — وللعقاد [١٣] رد بليغ فى مثل هـذا المجال ، يقول فيه أن مقاصد القصة فى القرآن كثيرة تجمعها هـذه المقاطع الثلاثة : فهى تسـاق للعبرة والموعظة ، أو تساق للقدوة وتثبيت العزيمـة ، أو تساق للتعليم والهداية • ثم يقول : ان القصص القرآنى تأخذ من التاريخ ما فيه الغنى بكل سياق أو مقصـد يعنى به الدين • فليس المقصود بها تفصيل التواريخ ولا تسجيل الوقائع والسنين • ثم يضيف قائلا : ولكن الجانب التاريخى المحض من القصص الدينى قـد كان له درسه النافع للمتعجلين من أدعياء — التحقيق العلمى — منذ أوائل القـرن التاسع عشر ،لعلهم لا يستغنون عنـه بعد انتصاف القـرن العشرين • فقد كان ورود الخبر فى كتاب من كتب الدين كافيا عندهم للجزم باختلافه وحسبانه فى عداد الخرافات ، أو فى عداد الخيالات الشعرية التى لم تحدث قط فى غير أوهام الشعراء ، فلم تمض أيام على الشروع فى حركة البحوث الحفـرية حتى ثبتت علامات الصبغة التاريخية لكلخبر من أخبـار تلك الحوادث المشكوك فيها • وثبت أن علماء التاريخ كانوا خلفاء أن يجهلوا شيئا عن تلك الحوادث لو لميعلموا بهـا من مصادرها الدينية قبل أنيتوافروا على حركة الحفر والتنقيب فى آثار الشرق الأدنى وما جاور بلاد النهرين • ومن هـذه الأخبـار ما كانوا يقرأونه فى الكتب ويمرون به على غير انتباه ، لأنهم لم يعرفوا له خطرا جديرا بالاهتمام فى غير المصادر الدينية ، فشكوا فى وجود « عـاد » و « ثمـود » وشكوا فى حملة الفيل وهلاك أصحاب الفيل ، وشكوا فى الزلازل والأعاصير والطوفانات والحروب التى سيقت مساق العبرة فى قصص القرآن ، وانفرد بهـا أحيانا بين كتب الأديان ، فلما حققوا الآثار وصححوا المراجعة تبين لهم أن عادا وثمودا من أخبار بطليموس ، وأن هـلاك أصحاب الفيل من تواريخ الحبش والروم ، وأن المدن التى ساخت بها الأرض أو عصفت بها الرياح حقيقة لا تقل عن حقائق « طيبـة » « منف » و « طروادة » و « مسينى » ، وأن بقايا اللغة تقول لنا اليوم بعـد المقارنة بين اللغات كل ما كذبوه من الأصول أو الصلات بين شعوب الأمس وأعرافه فى أحاديث المتدينين ،

وأنهم فى انكارهم وتحقيقهم المزعوم قد أبدعوا لهذا العصر صورة جديدة من صور الخرافة لم تكن مقبولة عند المخرفين الأقدمين • وهى خرافة العالم الذى ينكر ما يجهل ويجهل ما ينكر ، ويظن أن كلمة (التحقيق) وحدها سلطة تخولهم دون غيرهم حق الاستئثار بالرفض والانكار •

٣ — ٤ — ١٢ — يذهب جمهور المؤرخين الى القول بأن أول من قص فى مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم كان الصحابى اليمنى « تميم الدارى » الذى أسلم فى العام التاسع من الهجرة ، وكانت له دراية من قبل بعلم أهل الكتاب فقد كان نصرانيا قبل اسلامه • وقد أراد أن يقص فى عهد أبى بكر فلم يأذن له ، كما أبى عليه عمر بن الخطاب ذلك فى أول الأمر ، ثم أذن له فى آخر ولايته أن يذكر الناس فى يوم الجمعة قبل أن يخرج عمر الى المسجد • وفى خلافة عثمان استأذن « تميم » فى القص فى المسجد فأذن له عثمان بذلك •

ويقول الدكتور عبد اللطيف حمزة [١٣] ان صورة هذه القصص هى أن يجلس القاص فى المسجد ، ويقص على الحاضرين حكايات وأساطير عن الأمم الأخرى ، لا يعتمد فيها على الصدق بقدر ما يعتمد على الترغيب والترهيب • والظاهر أن هذا القصص كان على نوعين : قصص للعامة ، وقصص للخاصة • فأما قصص العامة فهو الذى يجمع اليه نفوس أكثر الناس • وهذا النوع من القصص مكروه عند فقهاء المسلمين ، وأما قصص الخاصة فهو الذى اعتمد عليه أكثر الخلفاء الراشدين • فلما ولى معاوية بن أبى سفيان الخلافة الأموية ولى رجلا من قبله على القصص • وانتشر القصص • ودخل عليه الكذب منذ خلافة على بن أبى طالب حتى اضطر الى طرد جميع المشتغلين بالقصص فى المساجد ، واستثنى منهم « الحسن البصرى » لتحريه الصدق فى القول • ولكن مما لا شك فيه أن القصص كان أكثر أسس الدعاية فى عهد الفتن الاسلامية • ومع نظام الحكم الأموى أصبح القاص موظفا رسميا • وكان القاضى فى بعض الأحيان يجمع القصص الى

جانب القضاء • بل ان الدكتور عبد اللطيف حمزة يشبه وظيفة القاص فى ذلك العهد بوزير الاعلام والدعاية فى عصرنا هـذا • وهو يرى أنه عن طريق القصص دخلت على المسلمين أسـاطير من أهـل الديانات الأخـرى اليهودية والنصرانية ، وكان ذلك سببا من الأسباب التى كلفت رجال الحديث كثيرا من الجهود المضنية فى التحرى عن صـدق الأحاديث النبوية • وبسبب القصاص — كما يرى الدكتور عبد اللطيف حمزة (١٤) — امتلأت كتب التاريخ الاسلامى بكثير من الوقائع الزائفة والحوادث المختلفة ، وذلك منذ اعتمد المؤرخون المسلمون على مصدرين كبيرين هما « وهب بن منبه » « كعب الأحبار » • أما وهب بن منبه فهو يمنى من أصل فارسى ، وكان من أهل الكتاب ، وله معرفة واسعة بقصص الأنبياء وأخبارهم • وأما « كعب الأحبار » فيهودى من اليمن أيضا وكان مصدرا لتسرب أخبار اليهود الى المسلمين ، وعن طريقـه أيضا دخل فى تفسير القرآن الكريم ما يعرف بالاسرائيليات • ويخلص الدكتور حمزة من هـذا الى القول بأن القصص أفاد الملوك والسلاطين فى الدعاية وأضر بنواح ثلاث هى : ناحية الحديث النبوى ، وناحية التاريخ الاسـلامى ، وناحية الديانة الاسـلامية نفسـها عن طريق الاسرائيليات • هـذا ما حدث فى صـدر الاسلام •

٣ — ٤ — ١٣ — ويكاد الاجماع ينعقد على أن أول من استعمل القصاص بصفة رسمية هو معـاوية بن أبى سفيان بعد أن آلت اليه الخلافة (١٥) • وكان تميم الدارى أول من عينه معاوية لهـذا العمل فتوسع فيـه • كان يقص فى المساجد اذا فرغ المصلون من صـلاة الصبح • وفى أماكن تجمع الناس فى غير أوقات الصـلاة • وما لبث معاوية أن عهـد الى القضاة فى الأمصار بمهمة القصـاص • ويحقق الدكتور أحمد على المجدوب (١٦) هـذه النقطة فيورد رواية الكندى فى كتابه (القضاة) بأن كثيرا من القضاة كانوا يقومون بمهمة القصاص الى جانب مهنـة القضـاء بأمر الحاكمين • وأن أول من قص بمصر سليمان بن عمر التيجى (سنة ٣٨ هجرية) • وقـد ولاه معاوية أمر

القضاء الى جانب القصص • ثم لم يلبث أن عزله من القضاء وخصصه للقصص لا غير • ثم يورد الدكتور المجدوب رواية المقريزى بأن تولى القاضى للقصص لم يحدث الا فى مصر • فلم يتم الجمع بين القضاء والقصص الا فيها • ويفسر المقريزى ذلك بأنه من المحتمل أن يكون نظاما من أنظمة الكنيسة المصرية • ويعلق الدكتور المجدوب على استخدام معاوية للقصص بأنه ادراك منه لأهمية عملهم ، وما لدورهم من أثر واضح يشبه الى حد كبير الأثر الذى تحدثه وسائل الاعلام من اذاعة وتليفزيون وصحف فى الدول المعاصرة •

٣ — ٤ — ١٤ — وفى الدولة الأموية نشأ قصاصون آخرون ، يروون أخبار الأمم الماضية فى القصور وعلى أسماع الخلفاء ، ومن هؤلاء عبيد بن شرية الجرهمى الذى قيل أنه روى أخبار الملوك العرب من لخم وغسان لمعاوية بن أبى سفيان الذى استحضره من صنعاء الى دمشق • وأن عبيد ظل فى البلاط الأموى يقص الى أيام عبد الملك ابن مروان •

وفى الدولة العباسية اتسع نشاط القصاص ، وسمح لهم الخلفاء بالتجول فى أرجاء الدولة وأصبح من يقرأ القرآن بالمسجد يقص أيضا • ويروى ابن عوف المتوفى عام ١٥١ هجرية أنه كان فى مساجد البصرة حلقة واحدة لعلماء الفقه فى حين كانت حلقات القصاصين لا تحصى ، حتى كانت المساجد مملوءة بهم •

٣ — ٤ — ١٥ — وفى بغداد ابتكر أحد القصاصين ، وهو موسى ابن سيار الاسوارى ، طريقة جديدة فى القصص ، فكان يجلس وعن يمينه العرب وعن يساره الفرس ، فيقص لهؤلاء بالفارسية ولأولئك بالعربية • وكان له قريب يدعى عمرو بن قائد كان قاضيا مثله ، وظل يقص ستا وثلاثين سنة ، وكلاهما عاش فى القرن الثالث الهجرى • ثم انتشر القصاص فى آسيا الوسطى وفى غيرها من الأمصار • وكان أمر القصاص فى الحجاز نادرا فيروى أن مالك بن أنس منعهم من دخول

مسجد الرسول فى المدينة • وهاجم الامام أبو حنيفـة القصاص فى بغداد • وتروى واقعة للامام « أحمد بن حنبل » وليحيى بن معين — أحـد علماء الحديث — ذات دلالة خطيرة لما بلغه زيف القصـاص فى ذلك الزمان • وذلك أنه بعد أن فرغ الامام أحمد بن حنبل وصاحبه يحيى بن معين من الصلاة بمسجد الرصافة فى بغداد ، قام قاض فقال : عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا اله الا الله خلق الله من كل كلمة طيرا ، منقاره من ذهب ، وريشه من مرجان ، ومضى يعدد أشياء غريبة وكائنات عجيبة يخلقها الله من كلمات لا اله الا الله • فجعل أحمد بن حنبل ينظر الى يحيى بن معين ، وهـذا ينظر اليه • ثم سأله : أنت حدثته بهـذا ؟ • قال : والله ما سمعت بهذا الا الساعة • فلمـا انتهى القاص أشار له يحيى فجـاء متوهما أنه سيمنحه مالا ، فسأله يحيى : من حدثك بهذا ؟ قال : أحمد بن حنبل ويحيى بن معين • فقال له أنا يحيى وهـذا أحمد ، فما سمعنا بهذا قط من حديث رسول الله ، فقال القاص : لم أزل أسمع أن يحيى بن معين ، وأحمد بن حنبل أحمقان ، ما تحققته الا الساعة • فقال له يحيى : وكيف ؟ قال : كأنه ليس فى الدنيا أحمد بن حنبل ويحيى بن معين غيركما ؟ • لقـد كتبت عن سبعة عشر أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين • وانصرف الشيخان لأن سلطان القصاص كان خطيرا •

٣ — ٤ — ١٦ — وفى العصر العباسى كثر عدد القصاص واحتدم التنافس بينهم • وأخـذ بعضهم يكيـد لبعض ، ويروى ابن عتيبة تأثيرهم على العـامة فيقول : (كانوا يميلون وجوه العوام اليهم ، ويستدرون ما عنـدهم بالغريب والأكاذيب) • وبسبب استفحال أمر القصاص أصـدر الخليفة العبـاسى عام ٢٧٩ هجرية أمرا بألا يعقد فى الطريق ولا فى المسجد قاص ولا منجم ولا عراف • وفى القرن الرابع الهجرى تطـور أمر القصاص فأصبح حـرفة شعبية • ويصف ابن الجوزى فى القرن السادس الهجرى ما وصل اليه أمر القصاص فيقول : « من القصاص من يخلط فى مجلسه الرجال والنساء ، وترى النسـاء

يكثرن الصياح وجدا على زعمهن ، فلاينكر ذلك عليهن جمعا للقلوب عليه ، ولقــد ظهر فى زماننا هــذا (زمان ابن الجوزى) من القصاص ما لا يدخــل فى التلبيس لأنه أمر صريح من كونهم جعلوا القصص معاشا يستمنحون به الأمراء والظلمة ، والأخــذ من أصحاب المكوس والتكسب به فى البلدان • وفيهم من يحضر المقابر فيذكر البلى وفراق الأحبة فيبكى النسوة ولا يحث على الصبر » ويذكر ابن الجوزى أيضا ان القاص أصــبح يأتى بحركات ايقاعية بأقدامه وبيديه وهــو يقص فى القرن السادس الهجرى ، وأنه يستخدم الغناء « والقاص ينشــد الغزل مع تصفيق بيده وايقــاع برجليه فتشبه السكر ، ويوجب ذلك تحريك الطباع وتهييج النفوس ، وصياح الرجال والنساء ، وتمزيق الثياب من دفائن الهوى •• » • ويضيف بعض الباحثين بأنه فى مرحلة تالية أضاف القصاص الى الايقــاع أنغــام آلة الربابة التى تصاحب غناءهم للقصص ، وهو ما ظل الى عهد قريب فى الريف المصرى • حيث كان الشاعر الشعبى يعزف على ربابته وهو يقص سيرة عنترة والزنانى خليفــة والزير سالم •

٣ — ٤ — ١٧ — والشعر العربى [١٧] لم يترك القصة ، فأسهم فيها بنصيب • وفى الشعر الجاهلى نجــد بعضا منها فىشعر امرىء القيس ، ثم شعر المنخل اليشكرى وغيرهما • ولكنها تبلغ أوجهــا عند عمر بن أبى ربيعة فى العصر الأموى ويقول الدكتور الطاهر مكى [١٨] : كان عمر بن أبى ربيعة فى مجتمع الحجاز صنو احسان عبد القدوس فى مجتمع القاهرة ، أو المجتمع العربى بعامة ، ان شئت ، كلاهما وقع على خفايا المجتمع البرجوازى الذى ينتسب اليه وعاش فيه واتخذ من أسراره مادة لقصصه ، شعرا رقيقا عند الأول ونثرا أنيقا عند الثانى •

٣ — ٤ — ١٨ — والترجمة الى العربية لم تهمل القصة بل أسهمت فيها بنصيب وافر فى العصر الأموى • وكتاب (كليلة ودمنة) الذى ترجمه ابن المقفع من اللغة البهلوية الى العربية أكبر شاهد على دور الترجمة فى تاريخ القصص العربى •

٣ — ٤ — ١٩ — ويستوقفنا فى تاريخ القصة « الجاحظ » ، وترجع الأهمية الخاصة للجاحظ فى بحثنا هـذا الى قربه الشديد من الأسلوب الصحفى ، والى قربه الشديد من الرؤية الصحفية أو العين الصحفية . قدم لنا الجاحظ من خلال كتابه البخلاء مجموعة من الحكايات ، تدور حول هذا اللون من الأخلاق ، التقطها من المحيط الذى حوله فى البصرة وخراسان ، فى واقعية دقيقة ، يذكر الأسماء والأمكنة والظروف ، وأراد أن يكون فى كتابه هـذا ناقلا أكثر منه مبدعا ، ولو خلص للقصة لربما كان لنا معه (موليير) أو بلزاك آخر ، ومع هـذا فقد دفع بالقصة العربية خطوة الى الأمام ، حين هبط بها الى واقع الحياة ، وجعل السخرية جزءا منها ، ومزج فيها بين المتعة والجمال والنقد [١٩] .

٣ — ٤ — ٢٠ — وثمة ظاهرة جدير بالانتباه فى شأن القصة العربية فى العصر العباسى ذلك أنها أصبحت فى الكتب كالملح فى الطعام، فنراها فى كتب الأدب والتاريخ والفقه والتفسير ، وفى كتب النحو والصرف والبلاغة .

٣ — ٤ — ٣١ — ولا تذكر القصة عند العرب الا وتذكر ألف ليلة وليلة . ذلك السفر القصصى الذى يسمى أصله الفارسى القديم بالألف حكاية ، وان كان الثابت أن أصول القصص هندية . وقام بكتابة أول مسودة له فى العراق فى القرن العاشر الميلادى (الجهشيارى) وقد أمده الأصل الفارسى بالفكرة العامة والشخصيات الرئيسية مثل (شهرزاد) ، ثم أصبح اسم الكتاب ألف ليلة ، ثم أضيف اليه وليلة . وخلال خمسة قرون أضيف للكتاب قصص من مصادر هندية ويونانية وعبرية ومصرية. وألف ليلة وليلة فى شكله الأخير يعود الى القرن الخامس عشر الميلادى حيث نسقه ورتبه أحـد اليهود المصريين الذى اعتنق الاسلام فى القرن نفسه . ولقد ترجم هـذا الكتاب فى القرن الثامن عشر الميلادى الى معظم اللغات الأوربية . وهو أشهر كتاب عربى فى أوربا حتى اليوم .

٣ — ٤ — ٢٢ — وفى موازاة تاريخية تقريبا لنشأة ألف ليلة وليلة ظهرت فى الكتابة العربيـــة مقامات بديع الزمان الهمذانى [٣٠] المتوفى عام ١٠٠٨ ميلاديا • وان كان فن فى المقامة يرجع الى ابن دريد المتوفى عام ٩٣٤ م فى رأى بعض المؤرخين ولكن الهمذانى هو مشيد صرحهـا بلا منازع • وبطـل مقامات الهمـذانى يسمى أبو الفتح الاسكندرى وراويها يسمى عيسى بن هشام • وبعد الهمذانى بأكثر من قرن جـاء الحريرى بمقامات تعرف باسمه ، بطلها (أبو زيد السروحى) •

من هذه الروافد جميعها للقصة العربية ترجم ما ترجم الى اللغات الأوربية [٣١] ، وأسهم فى بروز القصة الأوربية بمعناها المعاصر ، التى جاءت بعد ذلك الى العرب عبر أوربا من جديد •

٣ — ٤ — ٢٣ — وقبل الحديث عن القصة فى العصور الحديثة نعود للخبر حيث وقفنا به عند ظهور الاسلام • وأول ما نجـده فى الصحبة التاريخية للخبر هو أن المسجد أصبح المركز الرئيسى للأخبار • ولأن الخبر ظاهرة اجتماعية يرتبط فى مضمونه وفى وسائل نقله بتطور المجتمع لذلك نجد الحمام الزاجل ، وعمال الدولة يحملون الرسـائل الاخبارية ، مع اتساع الدولة الاسلامية وامتداد أطرافها ، هـذا الى جانب الوسائل التقليدية السابقة من قوافل تجارية وأسواق وغير ذلك •

٣ — ٥ — فى العصـور الحديثة :

٣ — ٥ — ١ — انتقلت القصة من العرب الى أسبانيا • ولقـد ذهب كثير من الباحثين الى تأثر « دانتى » برسالة الغفران لأبى العلاء المعرى والى تأثر كتاب القصة الأوربيين بقصة (حى بن يقظـان) لابن طفيل • واذا انتقلنا مع القصة من أسبانيا الى ايطاليا ، نجـد تاريخ الأدب الأوربى يحدثنا بأن القرن الرابع عشر الميلادى شـهد فى (روما) ما يعده المؤرخون والنقاد [٣٢] محاولات انشـاء القصص القصيرة • تلك التى كانت قصصا قصيرة من حيث الحجم لا من حيث

الخصائص التى تميزت بهـا فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى ، باعتبارها لونا مميزا من ألوان الأدب الحديث • كانت محاولات انشاء القصة القصيرة فى قاعـة فسيحة من قاعات قصر الفاتيكان • فى تلك القاعة التى أطلق عليها فيما بعد مصنع الأكاذيب اعتاد نفر من سكرتيرى (البابا) التردد عليها فى المساء للتسلية والسمر وتبادل الأخبار • وفى هـذا المجلس كانت تقص النوادر ، بل وتؤلف عن رجـال ونسـاء ايطاليا ، بل وعن البابا نفسه ، وقـد دفع ذلك الكثيرين الى التردد على هذا المجلس حتى لا يغتابوا أو يصبحوا موضع سخرية فى غيبتهم • وخلف التاريخ من مصنع الأكاذيب هـذا مجموعة قصصية ذات شكل أدبى أطلق عليها مؤلفها اسم (الفاشيتيا) (٢٣) Facetia وكان المؤلف واسمه (بوتشيو) Poggio شخصا غريب الأطوار خصب الخيال • اشتغل نصف حياته سكرتيرا للبابا • ثم تزوج وهو فى السبعين من عمره فتاة فى الخامسة عشرة • وبدأ بهذا الزواج حياته الأدبية فدون النوادر التى قصها والتى سمعها فى القاعة التى سميت مصنع الأكاذيب ثم جمعها فى كتابه (الفاشيتيا) الذى تداولته الأجيال من بعده •

٣ — ٥ — ٢ — وكمـا كان الحريرى خطـوة بعد الهمذانى فى المقـامات ، ولو من الناحيـة التاريخية على الأقـل ، فان بوكاتشيو Boccaccio الايطالى الأب والفرنسى الأم يعد خطوة بعد (بوتشيو) • وان كان كلاهما ينتمى الى القـرن الرابع عشر الميلادى • وحكايات (بوكاتشيو) التى جمعها فى كتاب اسمه (الديكاميرون) حاويا مائة قصة (٢٤) أسندها الى سبع سيدات وثلاثة رجال ، تخيل أنهم فروا من مدينتهم (فلورنسا) الى قصر أحدهم فى الريف هربا من طاعون اجتاح المدينة ، ورغبة منهم فى نسيان مشاهد الموت من الوباء أخذوا يقصون الحكايات • على كل واحد أن يقص قصة فى كل ليلة ، فأصبح لديهم فى عشر ليال مائة قصة •

وكان (بوكاتشيو) يروى فى قصصه خبرا معينا يبرزه ويفصله

ليجذب انتباه القارىء • ولقـد بلغت عنايته بالخبر بأن أنشأ قصـة تدور حول أهمية العناية برواية الخبر ، فذهب الى أن سيدة من روما كانت تنتقل من بلد الى آخر سيرا على الأقدام ، فأراد صاحب لهـا تسليتها بأن يروى لهـا قصصا أثناء السير • وقال لهـا أنه سيقص عليها قصة طريفة فلا تشعر بمتاعب السير وتحس وكأنها تمتطى صهوة جواد • فلما بدأ القص كانت القصة شائقة فى موضوعها ، ولكن عدم درايته بالسرد والخطأ فى الأحداث والخلط بين شخصيات القصة جعل السيدة تقـول له : آسفة يا سيدى لأن جوادك يسير سيرا خشنا ، فأرجو أن تسمح لى بالنزول عن ظهره • ومن الواضح جدا أن الجواد هـو القصة •

٣ — ٥ — ٣ — ويروى بعض النقاد [٢٥] أن القصة الحديثة تبدأ مع (بوكاتشيو) • وقـد قلده الكثيرون ممن جاءوا بعده فى أوربا اثر ترجمة قصصه • وفى القرن الخامس عشر الميلادى انتشرت القصص فى ايطاليا وأسبانيا وفرنسا متأثرة بقصص بوكاتشيو • وفى القـرن السادس عشر الميلادى امتد تأثير بوكاتشيو وواصلت القصة انتشارها فى بلدان أوربية أخرى • وبرزت فى فرنسا فى ذلك القرن السادس عشر كاتبة قصة هى (مرجريت) الزوجة الأولى للملك هنرى الرابع ، وألفت مجموعة قصص على نهج (الديكامرون) نشرت عام ١٥٥٨ م • وفى القرن السابع عشر الميلادى تميزت القصة بطابع ملحوظ ، اذ بعدت عن الأصـول الأولى للقصة ، ولكن مع نهاية ذلك القرن خبـا بريق القصة واستمر ذلك فى القرن الثامن عشر الميلادى ، لأنه عصر الاهتمام بمـا هو عملى ومادى وملموس ومفيد • وربمـا كان الكاتب الفرنسى الذائع الصيت « لافونتين » أشهر من نمى هذا الجنس الأدبى ، الا أن قصصه خرافات فى معظمها • كما أسهم فى انماء القصـة « فولتير » « ومدام دى ستال » دون أن يكونا قصاصا •

٣ — ٥ — ٤ — ومن النقاد من يرى أن القصة القصيرة الحديثة تدين بالفضل « لموباسان » فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر •

كان « موباسان » يعتقـد أن الرواية لا تصـلح للتعبير عن الواقعية الجديدة التى ترى أن بالحياة لحظات عابرة قـد تبدو فى نظر الرجل العادى لا قيمة لها ، ولكنها تحوى من المعانى قدرا كبيرا ، وكان هدفه أن يصور هـذه اللحظات ، وأن يستشف ما تعنيه • ولكنهـا قصـيرة ومنفصلة ، ولكل منها معناها المعين ، فكيف يمكن أن تحويهـا رواية واحدة • ووجـد « موباسان » الحل فى القصة القصيرة وكان هـذا اكتشافا خطـيرا يلائم روح العصر • وقـد بلغ أمر « موباسـان » فى القصـة القصيرة الى قول أحـدالنقاد بأن القصـة القصيرة هى « موباسان » و « موباسان » هو القصة القصيرة •

٣ — ٥ — ٦ — واذا كان النقاد قد عثروا على أب شرعى للقصة القصيرة ، فان مؤرخى الاعلام لا يستطيعون نسبة القصة الخبرية الى أب أو — ان شئت — الى أب واحد • ذلك لأن القصة الخبرية تعـد تطورا مركبا للخبر • ولكن يمكن القول بأنها من مواليد القرن التاسع عشر الميلادى ، شأنها فى ذلك شأن القصة القصيرة •

٣ —٥ — ٧ — يكاد مؤرخو الاعلام يجمعون على أن (مدينـة البندقية) كانت قبيل عصر النهضة الأوربية المركز الأوربى الأول لتبادل الخبر • وكانت أوربا بصفة عامة قـد عرفت الخبر المنسوخ بخط اليد قبل اختراع الطباعة عام ١٤٣٦ ويرجح المؤرخون أن الخبر المنسوخ ظهر لأول مرة فى انجلترا سنة ١٢٧٥ ميلاديا • وانتشر الخبر المنسوخ فى معظم أوربا قبيل عصر النهضة • وكانت صحافة ذلك الزمن مخلوطة • فقـد ظهر فى القرن الرابع عشر الميلادى فى ايطاليا لون من الصحف المخلوطة ، يطلق عليه الكراسات الاخبارية أو الكتيبات الاخبارية ، كان يكتبها تجـار الأخبـار تلبية لرغبة الشخصيات الكبيرة ، ذات النفوذ الواسع المتعطشة لمعـرفة أخبار العالم • وكان لهؤلاء التجـار مكاتب

اخبارية حسنة التنظيم ، ظلت تعمل لحسابهم خلال القرن الخامس عشر الميلادى وشطرا من القرن السادس عشر الميلادى • ذلك لأن الصحافة لم تفد من المطبعة الا فى القرن السابع عشر • عندما بدأت الصحف بمعناها المعاصر • الصحف التى تعتمد على الاعلانات والتوزيع لتغطى نفقاتها وتحقق ربحا • ومع ظهـور الصحف الشعبية أو الصحف ذات التوزيع المرتفع برزت أهمية الخبر المثير • ومن أبرز أخبـار الاثارة الجرائم ، وبخاصة ما كان منها مرتبطا بالجنس • ومن هنا — فى رأينا — بدأت القصة الخبرية التى اتسع مداها فى الصحافة المعـاصرة لتشمل أخبارا أعمق وأوسع من أخبار الجرائم •

٤ — المحلية والعـالمية :

٤ — ١ — فسر لنا التاريخ الروابط بين القصة القصيرة والقصة الخبرية ، أما البيئة الثقافية فتأخذ من التاريخ امتداده الرأسى لترسم لنا فى مداها الأفقى حدود العلاقة بين القصتين • ان القصة القصيرة والقصة الخبرية مثل النكتة • منها العام أو الشامل أو المشترك الذى يفهمه الناس جميعا ، ويتجاوبون معه مع اختلاف البيئات الثقافية ، واختلاف الأماكن والحضارات • ومنها القاصر على محيط خاص لا يفقه عمقـه الا أبناء بيئته الثقافية أو الحضارية • لذلك ما يعد خبرا عند « الاسكيمو » قـد لا يعد خبرا عند سكان الجزيرة العربية ، وما يعد نكتة عنـد الانجليز قـد لا يضحك المصريين ، وما يشبع نهم قارىء سوفيتى فى قصة قصيرة قـد لا يشد انتباه قارىء افريقى •• وهكذا • ولكن الخبر أو القصة سـواء كان مشتركا أو قاصرا لابد وأن يعكس الثقافة التى ينتمى اليها • لابد أن يعبر عن السر الكامن خلف النشاط الاجتماعى الذى أفرز القصة أو الخبر • ذلك الذى يسمى الوجـدان أو الثقافة • ذلك الشىء المرتبط بالتاريخ •• برفات الأجداد وحكمتهم وأرواحهم •

٤ — ٢ — وعندما يعـالج (بل كنسر) و (نيل كلينمان) [٢٦] التاريخ باعتباره قصصا يقولان اننا نؤمن بأن المجتمعات تنتج أنظمة تعبير أو بيان متوازية أو متصلة داخليا بعضها ببعض • وتعكس تلك الأنظمة مركبا اجتماعيا شاملا للمعانى والقيم • وتحاول المجتمعـات — بدرجات متفاوتة من الحماس — أن تبرز منطق الارتباطات المتشابكة للمعانى والقيم ، عن طريق استخدامها للخرافة وللتفسير التاريخى • ولكن هـذه التفسيرات تأتى من داخل المجتمع نفسه • ولهذا فهى جزء من المركب المعقد للمعانى والقيم • ليست فوق المركب ولا خارجه • ومن ثم فان مثل هـذه التفسيرات لا تضيف دلالة جديدة ، لأن المجتمع لا يستطيع دراسة الطريقة التى يفسر بها نفسه ، أى الأسلوب والغرض من تاريخه • وبعض المجتمعـات تهتم بصفة خاصـة بتفسير نفسها بنفسها بانتاج نظام وتاريخ يجعل هـذه التفسيرات منطقية • و (بل) و (نيل) يضربان مثلا بألمـانيا ويعترفان بأنهما يعالجان الوعى الألمانى كمـا لو أنه ينتمى الى فنان قـد ركب عن قصـد نموذجا من المعنى التاريخى والأحداث ، حتى ان البداية لابد وأن تقود الى النهـاية • ويذهب المؤلفان الى القول بأن التركيبات أو الكيانات داخـل مجتمع ما لابد أن تعكس أو تقدم القيم والمعـانى الخاصة بالنظام الاجتماعى بكلتيه • أى أن كل جزء من الأجزاء المكونة للنظام الاجتماعى له علاقة متجانسة بكل جزء آخر وبالنظام ككل • أى أن كل ملمح اجتمـاعى أو مستوى اجتماعى يحمل الطابع الشامل للعمل الاجتمـاعى • وعلى سبيل المثال نجد التشريعات السياسية المتطورة تتسق مع هياكل النشاط السياسى والاجتماعى ، وهى بدورها تتسق مع الخرافات الاجتماعية وأشكال التفسير التاريخى • ويذهب المؤلفان فى تفسير العلاقة بين الفن والتاريخ الألمـانى ، بأن (النازية) اكتشفت عن قصد رجع الصدى Feed Back بين الفن والتاريخ الألمـانى • وأنه كان قاعدة لدعايتهم لقـد مكنتهم معرفة تلك العلاقة من اضفاء قيمة جمالية على الواقع •

فجعلوا من الخرافة تاريخا • وكان هــذا الدافع لاضفاء القيمة الجمالية على الواقع كان نفسه عنصرا أساسيا فى معنى التاريخ الألمــانى حتى ظهور الدعاية (الهتلرية) •

ويقدم (مروا) لمحــة بشأن ما يعنيه الدافع الجمالى أو الحافز الجمالى قائلا انه يعنى أننا نحتاج قصصا محكيا ، لأن حياتنا الحقيقية تمر فى عالم غير منطقى ونحن نشتاق الى عالم خاضع لقوانين الروح •• عالم منظم • وفى القصة نسعى الى عالم فيه عواطف دون أن نعارض أنفسنا بنتائج العواطف الحقيقية • وبتطبيق ذلك على ألمــانيا يرى المؤلفان أن الغرض من المذهب الجمالى فى ألمــانيا كان واضحا لهما فى أن الألمــان يحتاجون الى حقيقة جمالية ، لأن الألمــان شعروا بأنهم يعيشون فى عالم غير متجانس المنطق • عالم لم يكونوا متأكدين فيه من شخصيتهم القوميــة • وبذلك لم يكونوا متأكدين من شخصياتهم الفردية • انهم — باختصار — كانوا يشعرون بأنهم مفتوحون للهجوم • هــذا الانفتاح للهجوم عليهم معبر عنه فى التاريخ الألمــانى بالمزيج من الخوف ومن التربص بجبهة سامية • ومعبر عنه فى الفن الشعبى بقصة المملكة الاقطاعية تحت الحصار • وهكذا وجدا أو فسرا المعنى الأساسى لطبيعة الدعاية النازية •

٤ — ٣ — يروى الدكتور زكى نجيب محمود [٣٧] تجربته مع عدد واحد من صحيفة يومية بريطانية عام ١٩٧٧ مستعرضا القصص الخبرية فيها بعنوان : « ثقافة أخرى » • فاذا بالقصة الخبرية الأولى عن سيدة تقدم للمحاكمة لأنها كانت تحرض أمها العجوز على الانتحار • وأعدت لهــا الأقراص القاتلة • ولكن الشرطة سجلت كل شىء ، وألقى القبض عليهــا وقدمت للمحاكمة • ويعلق الدكتور زكى بقوله تلك شريحة من حياة الغرب ، مما اعتقد أنه مستحيل الحدوث فى حياتنا • ثم يعــود الى صحيفته ذاتهــا فيقول : « وأعود الى الصحيفة اليومية فى يدى ، لأستعيد قصة امرأة خرجت من السجن لتوها بعد أن أمضت بين جدرانه أربعة أسابيع ، لمــاذا ؟ لأنها نذرت حياتهــا للحيلولة بين الثعــالب

وصائديها ، فهاهنا ما زال صيد الثعالب فى الغابات هواية محببة للقادرين عليها ، فقالت هـذه المرأة لنفسها : كيف يجوز للانسان مطاردة حيوان ليلهو ؟ أليست تلك الثعالب كائنات حيـة أراد لها خالقها أن تحيا ؟ ومن هـذه العقيدة عند المرأة انتقلت لتنفق جهودها وأموالها فى معاكسة اللاهين بمطاردة الحيوان وصيده ، فرفـع بعضهم أمرها الى المحاكم لـما ناله من ضرر ، وحكمت عليها المحكمة بالسجن أربعـة أسابيع ، خرجت بعدها بالأمس ، لتعلن فى الصحف أنها لن تكف عن الدفاع عن الحياة فى أية صورة كانت ، ولينلها من عنت القضاء ما ينالها ، ولم يفتها أن تنـدد بالعـدالة فى بلادها ، اذا كان معناها قـد انحدر فى أذهان القائمين عليها الى هـذا المنحدر المشين .

واذن فهذه شريحة أخرى من حياة (الغرب) ، فيها المثل الأعلى ، وفيها الاصرار على الجهاد فى سبيل ما يقيمه الانسان لنفسه من نماذج المثل العليا ، ولعل هـذا الجانب من حياة (الغرب) تؤيده قصة أخرى فى هـذه الصحيفة اليومية نفسها ، عن أمـيرة شابة تطلعت الى أن تجوب منطقة صحراوية فى قلب أستراليا ، فذهبت وحدها واستأجرت أربعة جمال ، وكان معها كلبها ، وظلت تتحسس طريقها هناك أربعـة أشهر ، تكشف لنفسها الجـديد ، فما وهنت لها عزيمة ، ولا أغراها شبابها أن تحيـا حيـاة المتعة فى المدن ، وبمثل هـذه العزائم تبنى الحضارات .

وصورة أخـرى تقدمها الصحيفة ، وهى أن رجـلا من أصحاب الأعمال فى فرنسا ذهب أثناء النهار الى منزله لطارىء عارض ، فاذا هو أمام مفاجأة أفقدته صوابه ، اذ رأى أحد العـاملين عنده مع امرأته فى فراشه ، فكان أن فصله من العمل فور لحظته ، فهل يخجل العـامل من فعلته ؟ أبدا رفع أمره الى القضاء ، لأنه لم يكن من حـق صاحب العمل أن يفصله بغير انذار ومهلة من زمن ، وبغير تعويض يحدد القانون مقداره ، والأعجب أن تأخذ المحكمة بوجهة نظره ، وتحكم على صاحب

العمل بغرامتين يدفعهما للعامل ، احداهما للفصل الفورى ، والأخرى عن الضرر ، لكن صاحب العمل قــد هاله هذا الظلم فاستأنف ، ومن حسن الحظ أن المحكمة هذه المرة قدرت ظروفه وأعفته من الغرامتين .

وأعود الى الصحيفة لأستخرج من صفحاتها عجبا من العجب : جمعية هدفها المطالبة بأن يكون للراشدين من الرجال أو النساء حــق الاتصال الجنسى بصغار السن ، وأرادت هذه الجمعية أن تعقد مؤتمرا ، فاتفقت مع أحــد الفنادق فى لندن أن يؤجر لهــا بهوا من أبهائه ووافق مدير الفندق ، لكن حــدث أن سمع العــاملون بالفندق بأمر هــذا الاجتماع وأهدافه ، فهددوا صاحب الفندق بأن يتركوا أعمــالهم اذا ما تم الاجتماع ، لكن أعضاء الجمعية أصروا على الاجتماع فى ظــل ما اتفقوا عليه ، دونما خجل من وضعهم الشاذ ، بل انهم ليعلنونه فى صراحة تثير العجب » .

ثم يضيف الدكتور زكى ملاحظاته حول ما فى الصحيفة من كنوز أدبية وفنية . ويعقب قائلا : جمعت هــذه الأشتات بعضها الى بعض ، وهى أشتات مأخوذة من صحيفة واحدة فى يوم واحد ، فألفيتها تصور مناخا ثقافيا ليس بينه وبين مناخنا الثقافى شبه . لا من قريب ولا من بعيد ، فخرجت بنتيجة مؤكدة ، وهى ضرورة أن يكون لكل ثقافة قومية معاييرها الخاصة ، بالاضافة الى المجال المشترك الذى يجب أن يتفق فيه الناس جميعا ، وأعنى به مجال العلوم وأشباهها ، ومن هذا وتلك تتكون صـــورة العصر .

٥ — التأثير والتأثر :

٥ — ١ — يقول بعض النقاد أن الصحافة أثرت على القصة فكانت الصحافة من أسباب ظهور القصة الواقعية . وهــذا القول ينقصــه التحديد ، ففى رأينا أن القصة الخبرية هى التى أعارت للقصة الأدبية بعض أثوابهــا الواقعيــة . وكان ذلك فى محيط الظــروف التاريخية والموضوعية التى يفصلها مؤرخو الأدب والنقاد .

٥ — ٢ — ان القصة الأدبيــة القصيرة وجــدت سكنا مناسبا فى الجرائد والمجلات • وقــد وفر لهــا السكن الجديد فرصة التعرض لألوف القراء ثم ملايين القراء • ولقد فرضت بعض ظروف المســاحة الضيقة شكلا قزميا للقصة الأدبيــة القصــيرة ، فضحى القصاصون بأجسام قصصهم لتناسب هــذا القالب الضيق ، فقزموا بعض انتاجهم القصصى ، فصار مسخا بدل أن يكون فنــا •

٥ — ٣ — لا ينكر باحث تأثير أسلوب الصحافة على الأدب المعاصر بصفة عامة • لقــد أصبح الأديب مطالبا فى قصته القصيرة أن يقترب من أسلوب الخبر فى السياق وليس فى القالب • وأصبح على المحرر أن يستعين بالتطور الذى بلغه كتاب القصة فى الحوار الواقعى على وجه الخصــوص •

يقول الصحفى بول دى كرويف [٢٨] : قــد تحسب أن كتــابة كتاب خيالى أسهل من كتابة كتاب واقعى ملتصق بالحقائق • ذلك ليس بالأمر الأكيد • اذ عليك أن تتذكر أن حقائق الحيــاة كثيرا ما تكون أغرب من الخيال • وكثيرا ما تذهب الحقائق فى الخيالات ، الى أبعــد ما يمكن لألمع القصاصين ان علم به فى خياله حلما عابرا صرفا • صعوبة الكتابة الواقعية ليست فى ايجاد حقائق خيالية شيقة ، بل فى جعل تلك الحقائق قابلة للتصديق •

ولغــة الاعلام مشكلة بالمعنى العلمى للمشكلة الذى يعادل معنى قضية معاصرة • ولغة القصص بالمعنى نفسه مشكلة نقدية معاصرة • فالعامية والفصحى والتذبذب بينهما • ولمســة الخيال و (البهارات) فى القصة الخبرية • ثم الشاعرية فى لغة القصة القصيرة • هذه القضايا جميعها لهــا مجالات رحبة واسعة فى الدراسة • ولكنها فى موقفنا هذا تؤكد لنا أن ما أطلق عليه اللغة الثالثة ، أو النثر العملى أو لغة الصحافة (وهو النثر الواقع بين لغة التخاطب العادية وبين النثر الفنى) تعــد

مجالا مشتركا بين القصتين وبخاصة فى الحوار • وأن كلا من القصتين تأثر وأثر فى هــذه المساحة المشتركة •

٦ — وجــوه المقارنة :

٦ — ١ — ان القواعد التى وضعها النقاد للقصة الأدبية كانت نتيجة تمحيص واستقراء وتحليل ومقارنة • بمعنى أن نشرها هو بداية ميلادها ، لتعيش وتستمر موضع تداول وانتشار • ولكن القصة الخبرية حياتها يوم أو بعض يوم فى الصحف اليومية (صباحية ومسائية) ، وحياتها أسبوع على أكثر تقدير فى الصحف الأسبوعية •

٦ — ٢ — من هنا ينبغى على أساتذة الصحافة أن يعاملوا القصة الخبرية معاملة مختلفة عن معاملة القارىء العادى لهــا • على أساتذة الصحافة والمعنيين معالجتها بشىء من الدراســة والبحث يمهد لهــا السبيل للدخول من باب النقد •

٦ — ٣ — وعندما نفحص وجوه المقارنة بين القصتين • نتبين أن الخــروج عن المــألوف يمثل بابا تدخل منه القصــة الخبرية • وأن (الدراما) الانسانية تمثل بابا تدخل منه القصة بوجــه عام • فمن التعبيرات الشائعة فى الصحافة أن كلبا عض رجلا ليس خبرا ، ولكن رجلا عض كلبا هو الخبر • وفى الحبكة يرى بعض النقاد (٢٩) أنك اذا قلت : مات الملك ثم ماتت الملكة بعد ذلك فهذه حكاية ، أما اذا قلت مات الملك وبعدئذ ماتت الملكة حزنا فهذه حبكة • وقــد احتفظنا هنا بالترتيب الزمنى ، ولكن الاحساس بالأسباب والنتائج يفوقه • مثل آخر ماتت الملكة ولم يعرف أحــد سببا لموتها حتى اكتشف أنها ماتت حزنا على وفاة الملك • هــذه حبكة بهــا سر غامض • هــذا النوع نستطيع أن نتطور به كثيرا ، وهو يلغى الترتيب الزمنى ، كما أنه يبتعد عن الحكاية بالقدر الذى تسمح به القيود التى تشده اليها •

٦ — ٤ — ومن وجوه المقارنة أيضا أن القصة الخبرية تحيط بالواقعية احاطة خارجية • أما القصة الأدبية فانها تحيط بها احاطة داخلية • والناقد الفرنسى (آلان) [٣٠] يؤكد أن لكل كائن بشرى جانبين يناسبان التاريخ والقصص • فكل ما نلاحظه فى رجل — أعماله وما يمكن استنباطه عن حياته الروحية من أعماله — يقع داخل حدود التاريخ • أما عن الجانب الخيالى أو الرومانتيكى فشمل الانفعالات المجردة ، أى الأحلام ، والأفراح والأتراح والاعترافات بينه وبين نفسه ، وهى التى يمنعه أدبه أو خجله من البوح بها • والتعبير عن هذا الجانب من الطبيعة البشرية هو أحد الأعمال الرئيسية للقصة •

نحن فى الحياة اليومية لا يفهم أحدنا الآخر ، اذ لا يوجد التنبؤ ولا الاعتراف الكامل • فنحن يعرف بعضنا البعض على وجه التقريب ، باشارات خارجية ، وهذه تكفى جدا كأساس لاجتماع الناس بعضهم ببعض ، بل الألفة • ولكن القارىء يمكنه فهم الناس فى الرواية فهما تاما ، اذا أراد الروائى ، اذ يمكن اظهار حياتهم الداخلية والخارجية وهذا هو السبب فى أنها تبدو أكثر وضوحا من شخصيات التاريخ • أو حتى من أصدقائنا ، فقد قيل لنا عنهم كل ما يمكن قوله ، حتى لو كانوا غير كاملين أو غير حقيقيين ، فهم لا يحتفظون بأسرار ، بينما أصدقاؤنا يحتفظون بأسرارهم فعلا لأن اخفاء الأسرار المتبادل شرط من شروط النجاح على هذه الأرض • وعن الحقائق الرئيسية فى الحياة البشرية يرى الناقد أنها :

(أ) الميلاد •

(ب) الطعام •

(جـ) النوم •

(د) الحب •

(هـ) الموت •

وحول هذه الحقائق تدور القصة •

٦ — ٥ — ومن وجـوه المقـارنة أن القصة الخبرية تعد تعبيرا موضوعيا عن واقعـة ، أما القصـة الأدبية فهى تعبير ذاتى • ولكن السؤال : هو ماذا يعنى التعبير الموضوعى ؟ وماذا يعنى التعبير الذاتى ؟ والعالم الألمـانى (أوتوجروت) عندما عرف الاعلام قال انه التعبير الموضوعى عن عقلية الجماهير وميولها واتجاهاتها • وفى الأدب والفن هناك قول شائع بأن العمـل الفنى تعبير عن الذات •• ذات الفنان الأديب • ولقـد سكب تعريف (أوتوجروت) للاعلام ظلا على تعريف الخبر فى صفات الحياد والدقة والتقريرية ، تلك الصفات اللازمة ليصبح الخبر خبرا ، وتصبح القصة الخبرية قصة خبرية • ولكن القول الشائع عن العمل الأدبى بأنه تعبير ذاتى أصبح يلاقى فى عصرنا شيئا من النقد والتقليب والبحث • فمن النقاد [٣١] من يرى أن العمل الفنى لا تزداد أهميته بمدى كشفه أو تعبيره عن شخصية الفنان ، بل العكس هـو الصحيح • فنحن نقول فى النقد الحديث أنه كلما اختفى الفنان وراء عمله بحيث أصبح العمل الفنى هو كل شىء والفنان لا شىء •• كان هـذا دليلا على نضج العمل الفنى وامتيازه عن غيره من الأعمال •

والدكتور رشاد رشدى يمضى فى القول بأن شخصية الفنان لا دخل لهـا فى تكوين العمل الفنى • وانما يرد الأمر الى الموهبة التى يهبها الله للفنان • وهو يقصـد قول « اليوت » فى الموهبة بأنها ليست قـدرة الفنان على التعبير عن ذاته بل قدرته على الهروب من هذه الذات •

٦ — ٦ — من حيث الحجم عندما نقارن القصة الخبرية بالقصة القصيرة فى مجال القصة عامة نجد أن القصة الخبرية تنتمى الى أكبر الأحجام فى عالم الخبر ، وأن القصة القصيرة تنتمى الى أصغر الأحجام فى عالم القصـة • وبرغم يقيننا بأن الحجم ليست له دلالة معاصرة فى القصة القصيرة ولا فى القصة الخبرية الا أن المقارنة لا تستطيع أن تغض النظر عن الحجم فى كلا القصتين • وكان العرب فى العصر العباسى يطلقون على القصص القصيرة الحجم الشبريات ، تمييزا لها عن القصص الطويلة ، وهم يرون فى ذلك بيت أبى دلف الخزرجى :

ومن قصـــص لاسرائيـــل أو شـبرا على شـبر

وأصبحنا فى النقد الحديث نطالع تسميات الأقصوصة (٣٢) للقصة القصيرة جــدا .

وفى القصة الخبرية حدث العكس ، فعندما تطورت كتابة الخبر بمعرفة أسباب الحدث ودوافعه ، استطال وكبر ، حتى ظهر حجم القصة الخبرية الأكبر نسبيا من الخبر .

٦ — ٧ — لا يمكن لبحث عن القصة القصيرة والقصة الخبرية أن يغفل المقارنة بين بناء القصة القصيرة ، وبناء القصة الخبرية . بل ان هـذه المقارنة هى أهم وجوه المقارنة جميعا بين القصتين .

فى بناء القصة القصيرة يذكر الدكتور رشاد رشدى فى كتابه فن القصة النقاط الأربع التالية :

٦ — ٧ — ١ — (أ) الخبر : فمن المعروف أن القصـــة تروى خبرا ، ولكن لا يمكن اعتبار كل خبر قصة ، أو كل مجموعة أخبار قصة . فلكى يصبح الخبر قصـــة يجب أن يكون له بداية ووسط ونهـــاية ، أى أنه ينشأ بالضرورة عن موقف معين ويتطور وينمو بالضرورة الى نقطة معينة . والفرق بين الخبر الذى يقتصر على تزويدنا بالمعلومات والخبر الذى يصور حدثا هو الفرق بين الخبر وبين القصة .

٦ — ٧ — ٢ — (ب) الشخصيات : ينشأ الحدث — فى كثير من الأحيان — عن موقف معين ثم يتطور الى نهاية معينة ، ومع ذلك يظل الحدث ناقصا . فتطوره من نقطة الى أخرى يفسر لنا كيف وقع ولكنه لا يفسر لنا لمـــاذا وقع ؟ والبحث عن الدوافع يتطلب التعـــرف على الشخص أو الأشخاص الذين فعلوا الحدث أو تأثروا به . ولا يمكن الفصل بين الشخصية وبين الحدث . لأن الحدث هو الشخصية وهى تعمـــل .

٦ — ٧ — ٣ — (جـ) المعنى : ان تطور الحوادث بالضرورة من موقف الى وسط الى نهاية لا يكفى لتصوير الحدث لأن الحدث هو تصوير الشخصية وهى تعمل • ولكن تصوير الشخصية وهى تعمل لا يكفى بدوره لاكتمال الحدث ، فالحدث المتكامل هو تصوير الشخصية وهى تعمل عملا له معنى • وبدون المعنى لا يمكن أن يتحقق للحدث الاكتمال ، لأن أركان الحدث الثلاثة وهى الفعل ، والفاعل ، والمعنى ، وحده لا يمكن تجزئتها • فليس للفعل أو الفاعل قيمة ان لم يكشف عن معنى •

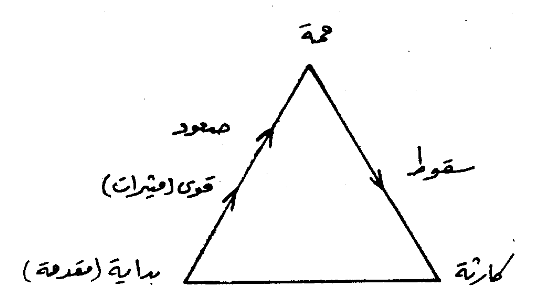
٦ — ٧ — ٤ — (د) لحظة التنوير : لكى تكتمل مقومات البناء فى القصة القصيرة لابد أن تلقى ضوءا معينا تريد ابرازه • وهذا ما يسميه النقاد لحظة التنوير التى يكتمل بها معنى الحدث •

٦ — ٧ — ٥ — وربط الدكتور رشاد رشدى بين بناء القصة ونسيجها ، فيرى أن بناء القصة بأجزائه الأربعة لا يمكن أن ينفصل أى جزء أو يستقل حتى تتحقق سلامة البناء كذلك فان نسيج القصة من وصف وحوار وسرد يجب أن يقوم على خدمة الحدث • وأنه لا يمكن الحديث عن نسيج القصة منفصلا عن بنائها • وهما شىء واحد يمثلان كيان القصة •

٦ — ٧ — ٦ — والدكتور الطاهر مكى فى كتابه القصة القصيرة دراسة ومختارات يرى فى مجال بناء القصة القصيرة أن على كاتبها أن يحاكى حدثا لا يشارك فيه ، ومن الخطأ أن يقرر رأيا أو فكرة فى سياق القصة الا اذا جاءت على لسان أحد من شخصياتها • وكان لها علاقة بتطور الحدث ، والتقرير من الأشياء التى تعيب النسيج القصصى عيبا شديدا ، والقصاص الماهر يترجم ما يريد الى معادل موضوعى • وبقدر ما يبرع فى ايجاد المعادل تكون فنية القصة وتميزها •

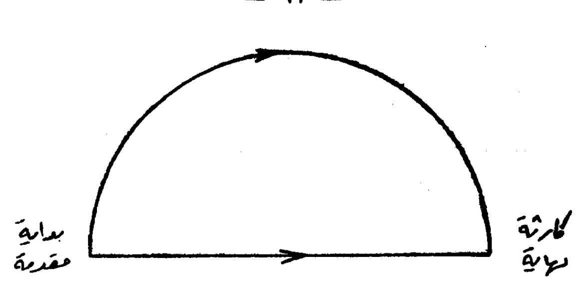
٦ — ٨ — والواقع أن المعــادل الموضوعى أصبح من التعبيرات الشائعة فى لغة النقد المعاصر • وهو أن يصور الأديب صورة فى النص الأدبى تعــادل ما يريد التعبير عنه • فالشجرة الباسقة المورقة بثمرها الناضج هى المعادل الموضوعى لسعادة ربة البيت وأنوثتها • والأرض القاحلة الخراب هى المعادل الموضوعى لبؤس انسان وهمومه ، أو المعادل الموضوعى لفساد حضارة وعمقها وضياعها ويحضرنى المعادل الموضوعى مما أقوم به الآن وهو كتابة هــذا البحث (بين القصة الأدبية والقصة الخبرية) • اننى أضع الأفكار العامة لبضعة بحوث فى فترة زمنيــة ثم أستبعد منها ما راه متعثرا أو لا يروق لى • ثم أعيش مع بحوثى فى قراءاتى المقصودة كمراجع ، وفى قراءاتى الحرة ، وأجمع من كل قراءاتى ما أراه مناسبا لبحوثى •• ثم أقلب البحوث فى الليل والنهار وتلح على تفصيلاتها وفقراتهــا حتى تخرج متتابعة ، فأنجز بحثين ، فى يوم وليلة ،أو أنجز بحثا ويلحق به آخر بعد أسبوعين أو شهرين • ولكنها لا تلبث أن تخرج جميعها ، فأبدأ من جديد • يحضرنى المعادل الموضوعى لمــا أقوم به الآن فى رقاد الدجاجة أو البطة على البيض • انها تضع بضع بيضات فى فترة زمنية ، ثم تحضن البيض بعد استبعاد بيضة فاسدة أو أكثر ، وترقد عليه فاذا استوفى زمنه ، خرج الكتكوت الأول وفى اليوم التالى أو بعد بضعة أيام يخــرج كتكوت آخــر ، أو يخرج ثلاثة فى يوم واحد • وهكذا •• فاذا فرغت الدجاجة أو البطة من فقس بيضها عادت من جديد تضع بيضا آخر •

٦ — ٩ — ولقــد ذهب بعض النقاد فى المثلث البنائى للقصــة القصيرة مذاهب جديدة تستحق التأمل والنظر • فالناقد الروسى [٣٣] ستيرنبرج فى نظريته لمثلث بناء القصة القصيرة يرى أن مثلث الرواية وفق البناء الأرسطى للمسرحية على الشكل التالى :



فالرواية تنطلق من بداية ما ، وسواء أكانت حقيقية أو مفترضة ، فانها بداية يتبعها صعود الى ذروة على مسار الضلع الصاعد فى المثلث ، وهو صعود تلعب فيه القوى والمثيرات دورا بارزا حتى يصل الموقف الى ذروة تحتم بالطبيعة أن يجىء بعدها الانحدار ، ولذلك كان من المتوقع أن يأتى السقوط الى سفح كارثة ما . وهذا المثلث ليس الا الاطار الشكلى العام الذى يتكرر فى معظم الصيغ البنائية المختلفة والذى يحاول أن يبسط الشكل وأن يجرده الى مكوناته أو اطاره الأول فقد يكون الصعود أو السقوط أخلاقيا ، وقد يكون اجتماعيا أو نفسيا .. الخ ولكنه فى صورته التجريدية صعود أو هبوط .

ويحاول نقد الأقصوصة أن يتبنى فى كثير من صياغاته فكرة المثلث هذه ولكنه يتبنى فى الواقع مثلثا ضمنيا لا مثلثا فعليا . اذ ينطلق فيه الشكل من البداية الى السقوط مباشرة على الضلع الغائب فى هذا المثلث مفترضا وجوده أو مؤمنا باعتباره جزءا من تاريخ الموقف الذى يتناوله . ومن هنا فاننا لا نتعامل مع خط مستقيم . وبرغم أن الحركة تبدو وكأنها حركة مباشرة من البداية الى الكارثة مرة واحدة فانها حركة على أضلاع مثلث . ولكنه مثلثا قريب الشبه بالهلال .



ويشبه « ستيرنبرج » القصة القصيرة بالقنبلة التى تلقى من طائرة فان هدفها الأساسى هو المسارعة باصابة الهدف بكل طاقاتها الانفجارية.

٦ — ١٠ — أما بنـاء القصة الخبرية فهو كمـا يستعمله طالب الصحافة فى عامه الدراسى الأول ، والصحفى تحت التمرين ، هو قالب الهرم المقلوب ويندر أن يخلو كتاب فى الخبر من صور للهرم المقلوب عليها بيان صدر Lead وجسـم Body هما الهيكل البنائى للقصة الخبرية . أهم الحقائق أو المعلومات يتضمنها الصدر . وتأتى الحقائق أو المعلومات الأقل أهمية فى فقرات الجسم درجة بعد درجة ، وهكذا يصبح النموذج التقليدى للقصـة الخبرية على شكل مثلث يقف على رأسـه .

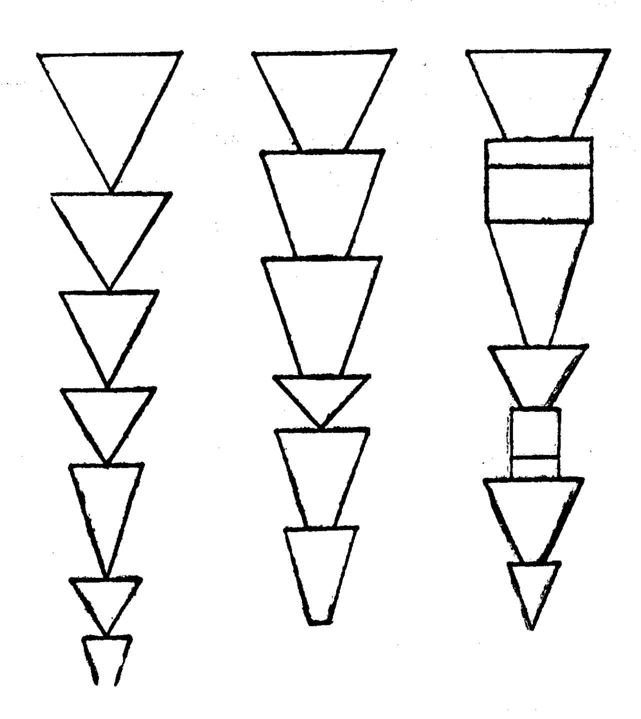
ويرى بعض أساتذة الصحافة (٣٤) أن تحليل القصص الخبرية خلال العقود المـاضية من هـذا القرن بين أنها ليست مثلثات بسيطة ، وانما هى عدد من المثلثات على خيط واحـد مثل السمك . فالقصـة تجمل فى فقرتين أو فى ثلاث فقرات ، ثم تقدم بتفصيل أكثر فى مثلث ثان ، ثم تشرح بشىء من التطويل فى مثلث ثالث . وربمـا أضيفت تفاصيل صغيرة ومميزات خاصة فى مثلث رابع . واذا تأملنا قصـة خبرية عن حريق كبير فى ثلاث أو أربع عبارات . فان المثلث الأول يحدثنـا عن القتلى والتلفيات ، والمثلث الثـانى يكشف لنا كيف بدأ

الحـــريق وكيف انتشرت النيران وكيف جندت قوات مكافحة النيران ورجال الاطفاء ؟ أما المثلث الثالث فيقول لنـــا من اكتشف النيران ؟ والجهود المبذولة لحصرها والمساعدات الخارجية فى اطفائها • وقـــد يخصص مثلث للحديث عن التأمينات على ما أكلته النيران • وقد يقدم المحرر الوقائع فى تسلسلها مقتطفا قول أحد المارة الذى رأى الدخان ، أو الحارس الذى اكتشف اللهيب أو ما شابه ذلك وهكذا نجد أن القصة الخبرية قـــد تشكل نموذجا أكثر تعقيدا حتى من سلسلة المثلثات • وقـــد تصبح المثلثات ذات قاعدة بليدة لا تثير نهم القارىء • لذلك لابد من تدخل المحرر لاعادة الترتيب والاحكام ، فربما اقتضى المنطق الداخلى للقصة الخبرية أن يحرك المحرر فقرة أو فقرتين قرب النهاية الى أعلى القصة •• وربما كانت فقرة تفصيلية فى قلب القصة الخبرية من شأنها أن تقوى شكلهـــا • وتجنبها التفكك والتشتت ومثل هـــذه التدخلات من المحرر هى التى تبين مهارته وقدرته •

ويذهب بعض أساتذة الصحافة (٣٥) الى القول بأنه من المفيد أن ننظر الى القصة الخبرية الحديثة لا باعتبارها مثلثا مقلوبا بل باعتبارها تطـــار بضاعة ، فقاطرة الديزل تمدنا بالقوة بالسير ، وتتبعها سلسلة من العربات الصناديق مملوءة بالمعلومات • فالقصة الخبرية لها روابط واشارات داخلية أكثر من أشكال الكتابة الأخرى ، لذلك فقالب قطار البضاعة يمكن المحرر من اجراء مناورات عديدة داخل الخط وخارجه بابدال عينات الصناديق المختلفة فيدفع المحرر بالصناديق التى تحمل المعلومات أقل أهمية الى آخر القطـــار ويجعـــل الصناديق التى تحمل معلومات أكثر أهمية فى المقدمة •

وأيا ما كان القالب الذى تكتب به القصة الخبرية فانهـــا ينبغى أن تكون منطقية ، وأن تحرك القارىء من نقطة الى أخرى دون أن يفقد القارىء اهتمامه بهـــا •

ويبين الشكل التالى شكلا أكثر تطورا من الهرم التقليدى المقلوب للقصة الخبرية ، انه يقــدم لنا ثلاثة نماذج ، فى كل نموذج مجموعة متحدة من المثلثات والحواشى يمكن للمحرر أن يعيد ترتيبها وفــق مقتضيات القصــة الخبرية التى يحررها .



ويقول توماس بيرى : غالبا ما يستخدم الصحفى فى كتابة قصصه الاخبارية بنيانا فريدا مقتصرا على الصحافة . فخلافا للقصة القصيرة العادية حيث تتراكم الوقائع وتترابط لتصل الى الذروة ، يبدأ الصحفى القصة الخبرية بالذروة ثم يشرع فى التوسع [٣٦] .

ويذهب ريفرز [٣٧] الى القول بأن بعض أنواع القصص الخبرية ظلت فى طورها التقليدى والبعض الآخر قد اختفى ولكن من الضرورى تأكيد القول بأن الشكل النموذجى الأساسى للقصة الخبرية هو القاعدة لكل أشكال القصص الخبرية • وأن معرفة بناء القصة الخبرية يتضمن معرفة أهدافها ويساعد فى تحقيق وظيفة الصحيفة ، والشكل النموذجى للقصة الخبرية ليس معقدا بل ان من له دراية بالتحرير يمكنه أن يؤدى ذلك بسهولة • وتبدو سهولة القصة الخبرية حقيقة واقعة للذين مارسوا كتابة المقال أو القصة القصيرة • ويشرح « ريفرز » مفتاح الشكل النموذجى للقصة الخبرية بأنه كتابة أهم الوقائع وأكثرها تشويقا فى البداية وفقا للبدء بقاعدة الهرم المقلوب التى تتضمن ما هو أكثر ثقلا • ثم تتدرج الوقائع بترتيب أهميتها ، بحيث تكون نتيجة القصة الخبرية نتيجة منطقية •

وعندما يتحدث الدكتور عبد اللطيف حمزة عن القصة الخبرية يرى أن الفارق كبير بين الكتابة الأدبية الخالصة والكتابة الصحفية الخالصة • فبينما نرى الصحفى مقيدا بالأصول أو الصور أو القوالب الفنية للقصة الخبرية ، نرى الأديب طليقا من جميع هذه القيود ، حرا فى الوقت نفسه فى اختيار الوقت الذى يكتب فيه انتاجه الأدبى حرا كذلك فى المادة التى يخلق منها هذا الانتاج • ولقد اتفق رجال الصحف على أن يكون شكل القصة الخبرية هو الهرم المقلوب بمعنى أن الصحفى يأتى بالفكرة الرئيسية أو ما يسمى بالصدر Lead أولا ثم يأتى بالتفاصيل أو الجسم بعد ذلك • أما الصدر فينبغى أن يتوافر فيه شروط منها :

(أ) أن يشتمل على أهم النقط الرئيسية للقصة الخبرية •

(ب) أن يكتب فى جمل قصيرة مثيرة وقليلة •

(جـ) أن يجيب عن أسـئلة ستة معـروفة هى : من ؟ ، ماذا ؟ ، متى ؟ أين ؟ ، كيف ؟ ، ولمـاذا ؟ ، وعلى المحرر أن يوازن بين الأهمية النسبية لكل منها ليبدأ به قصته الخبرية .

(د) أن تكون ملامح القصة الخبرية واضحة فى صدرها ، بحيث تميزها عن غيرها ، كما يستطيع القارىء أن يكتفى بهـا — أى بملامح القصة الاخبارية فى صدرها عن تكملة قراءة القصة كلها ان ضاق وقته عن هـذه التكملة .

وبعد ذلك يأخذ المحرر فى كتابة ، صلب الخبر أو جسمه . والمتبع فى كتابة الجسم أن يكون على شكل فقرات متكاملة ، كل فقرة منهـا وحدة مستقلة بذاتها بحيث يمكن حذف أية فقرة عندما تحتاج الصحيفة الى ذلك ، بشرط عدم الاخلال بالمعنى العام أو القيمة العامة للخبر .

ويرى الدكتور حمزة أن هـذا الحذف فى حالة الضرورة يمثل فرقا آخـر بين الأدب والصـحافة . فنحن فى الأدب نرى الفقرات التى يتألف منها المقال الأدبى آخذ بعضها بحجز (بضم الحاء وفتح الجيم) بعض ، بحيث اذا حـذفنا فقرة منها أضر ذلك بالمعنى لكننا فى الخبر الصحفى نستطيع أن نستغنى عن بعض الفقرات التى يتألف منهـا عند الحاجة . والخبر الصحفى فى هذه الحالة يكون أشبه بالقصيدة العربية التقليدية كل بيت فيها وحدة قائمة بذاتها ، ويستطيع الشاعر أو القارىء أن يحذف من هـذه الوحدات ، أو يقدم بعضا ويؤخر بعضا فلا يضر ذلك بالقصيدة [٣٨] .

ويرى بعض الصحفيين وبعض أساتذة الاعلام أن الأسئلة الستة التقليدية هى فى حقيقتها أربعة أسئلة وذلك لأن كيف ؟ وماذا ؟ متضمنة فى اجابة بقية الأسئلة فى كثير من الأحيان .

واذا نظرنا الى التتابع الأقصوصى والصياغة الخبرية نظرة مقارنة يمكننا أن نجملها فى الجدول التالى :

(*) التتابع الاقصوصى والصياغة الخبرية

القصة القصيرة	القصة الخبرية	المقارنة
اشكال التتابع الاقصوصى	**طرق صياغة القصة الخبرية**	
١ ــ التتابع السببى او المنطقى ، وهو تتابع يقوم على النمو التدريجى المتسلسل من أ الى د مارا ب ب و جـ .	١ ــ طريقة الترتيب الزمنى المعدول ويقوم على سرد القصة وفق تسلسل حدوثها.	التطابق
٢ ــ التتابع الكيفى ، وهو أكثر حنكة ، فبدلا من أن يؤدى حدث الى آخر ، يؤدى حدث الى تبلور قيمة كيفية اخرى وهكذا يعتمد التتابع على نسيج معقد وكثيف من الايماءات الموجبة التى تخلق وحدة خاصة ومنطقا منفردا .		انفراد القصة القصيرة
٣ ــ التتابع التقليدى وهو التتابع الذى يعتمد على قدرة الشكل الاقصوصى وتقاليده على التأثير .	٢ ــ الترتيب الزمنى المعكوس : يبدأ بنهاية الحدث . ثم يعود بترتيب زمنى معكوس لشرح تفاصيل الحدث .	التشابه
٤ ــ التتابع التكرارى وهو تنمية القص من خلال اعادة النص بصورة جديدة فى كل مرة ولكنها تنطوى على نفس الجوهر الواحد وتوسع أفقه أو تضيف اليه .		انفراد القصة القصيرة
	٣ ــ طريقة التشويق المسرحى وذلك بجذب الانتباه كأن تبدأ القصة الخبرية بصرخة سيدة فى منتصف الليل . أو انطلقت رصاصة فى حفل كذا ، أو ما شابه ذلك من تسلسل الحدث .	انفراد القصة الخبرية

خاتمـــة :

ماذا تقول لنـــا الدراسة المقارنة للقصتين الخبرية والأدبيـــة ؟ اذا نظــرنا الى المستويات الاجتماعية ، والمهنية ، والفنية نستخلص ما يلى :

٧ — ١ — على المستوى الاجتماعى :

ماذا تصنع القصـــة الخبرية الكاذبة فى المجتمع ؟ وماذا تصنع القصة القصيرة الكاذبة فى المجتمع ؟ والمقصود بالصدق فى الخبر صدق الرواية • والمقصود بالصدق فى القصة الصدق الفنى • يمكن أن نتصور الآثار التدميرية لكل منهما بالقنبلة العنقودية • انها قنبلة تتفرع منهـــا عشرات القنابل كل منها تصبح أداة دمار وتخريب • وفى القصة القصيرة الكاذبة فنيا يمكن أن نذكر عددا لا يحصى من ألوان الدمار أقلهـــا أن تجعل القارىء يعيش خارج أهدافه وآماله ، وخارج أهداف وآمال مجتمعه ، وتلج به الى عالم هروبى كأنها قطعـــة حشيش أو حقنـــة مخدرات • وفى القصة الخبرية الكاذبة يتم تدمير العقل والنفس معا • وعندما تحدث ابن الجـــوزى عن أسباب وضع بعض الناس أحاديث ونسبتها الى النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هـــذه الأسباب هى الغبـــاوة ، والغفلة عن التمييز ، وطلب المـــال والجـــاه ، والتدليس ، وايقاع الشك فى قلوب العباد • وأنا أستعير من ابن الجوزى أسبابه الخمسة وأطبقها على الأخبار الكاذبة •

ولقـــد لعبت مدرسة الاثارة فى الصحافة المعاصرة دورا تخريبيا فى عقول الناس بالجـــرى وراء القصص الخبرية الكاذبة ، ويكفى أن نضرب مثلا عابرا نشر فى بريد القـــراء (٣٩) بتوقيع محاسب اســـمه (على عبد الرحمن) بعنوان « رفضنا تسلم جائزة الأم المثالية لأن أمى ليست بائعة بيض أو دجـــاج » تعليقـــا على ما نشر بالأخبـــار فى ١٩٧٩/٣/٦ بمناسبة تكريم الأمهات المثاليات من أنه قـــد تم فـــوز السيدة الوالدة صفصافة سيد علي بلقب الأم المثالية لمحافظة قنا أود أن

أوضح بعض الحقائق • لقد كتبت الأخبار « أن هــذه السيدة تستحق لقب الأم المثالية لا لأنها أنجبت هؤلاء الأبناء ، ولكن لأن زوجها رحمه الله كان رجلا مزارعا بسيطا يتقاضى ٣ جنيهات شهريا الأمر الذى جعل النقود تقف حائلا دون رغبتها فى اتمام تعليمهم مما جعلها تشترى عدة دجاجات من أحد جيرانها بالقرية وبدأت تبيع البيض والدجاج والأرانب لأهالى القرية ، واقتطعت من قوت يومها للانفــاق على أولادها حيث تم تعليمهم •

والواقع أن الحقيقة غير ذلك تماما • فلم يحدث يوما أن قامت أمى ببيع البيض والدجاج • صحيح أن الفقــر ليس عيبا • ولكن العيب أن يذكر كاتب الموضوع وقائع وأحداثا لم تقع وأغرب من ذلك أننا فوجئنا فى الموضوع بكلمات على لسان السيدة الوالدة •• لم تتفوه بهــا اطلاقا • مما تسبب فى اصابتى وأمى وجميع أشقائى بأزمة نفسية حادة • ان المجتمعات الصعيدية تهتم بعراقة الأصل وحسن المنبت ، ولا يصح أبدا أن يتم تجريحها بهــذا الشكل • وقــد رفضنا تسلم جائزة الأم المثالية رغــم أن والدتنا مثالية حقا •• ولكن ليس ببيع البيض والدجاج ، ولكن لأنها أدركت بغريزة الأمومة أهمية التعليم فشجعت أبناءها عليه حتى تخرجوا وشغلوا مناصب مشرفة » •

وماذا تصنع القصة الخبرية الصادقة فى المجتمع ؟ وماذا تصنع القصة القصيرة الصادقة فنيا فى المجتمع ؟

ان الخبر الصادق هو النور الكاشف أمام العقل ، وهو حيثيات الرأى العام للحكم المستنير • والقصة القصيرة الصادقة فنيــا تنوير لعقل الانسان وتبصرة تسلحه بالقــدرة على مواجهة الحياة وتسلحه بالوعى بهــذه الحياة •

٧ ــ ٢ ــ على المستوى الثقافى المهنى :

ينبغى على الأديب أن يتأمل عناصر القصة الخبرية وعلى الصحفى

أن يستوعب فنون القصـــة القصيرة ليثرى كل منهما رؤيته ، وليزيد كل منهما قدراته فى معالجة قصته •

٧ ــ ٣ ــ على المستوى الفنى :

ان الحوار ظاهرة حياة وظاهرة صحية ، والحـــوار بين القصتين يولد أمام النقاد دروبا لتنمية كل من القصتين •

ويذكر صبرى حافظ (٤٠) أن عصر الأقصوصة (وهو يعنى بهـــا القصة القصيرة بوجه عام) فى أدبنا العربى يناهز عمرها فى عدد من الآداب الأوربية الأخرى • ويذكر أن مصطلح الأقصوصـــة باعتباره مصطلحا يدل على جنس أدبى معـــين لم يحظ بمكانة رسمية فى لغـــة القـــارىء الانجليزى حتى أدرج قاموس اكسفورد الانجليزى هـــذا المصطلح فى ملحق له عام ١٩٣٣ م • وكانت الأقصوصة المصرية قـــد نجحت قبل هـــذا التاريخ بسنوات عديدة فى جعل الأقصوصة مصطلحا أدبيا معترفا به فى دوائر المثقفين •

أليس فيما يذكر أمثال هـــذا القـــول تشجيعا لنـــا فى أن نبحث فى العلاقة بين القصة الأدبية والقصة الخبرية ؟ وأن نحاول أن نفتح للقصة الخبرية باب النقد الصحفى لتحظى بما حظيت به القصة القصيرة فى ساحة النقـــد الأدبى ؟

الهــوامش

(١) القصص فى اللغة هــو تتبع الأثر لمعــرفة المكان الذى نزل به اصحابه او سلكوه . ومن هنا قيل للحكاية عن القوم انهــا قصة ، لان من يحكى عنهم يتتبع اثرهم ليعرف خبرهم ، فهــو يقص سيرتهم فى الزمان ، كما تقص السير فى المواقع والجهات .

وقــد وردت الكلمة فى القرآن الكريم بالمعنيين فى سورة واحدة . فجاء فى ســـورة الكهف (فارتدا على آثارهما قصصا) بمعنى تتبع الأثر معرفة الطريق ، وجاء فيها ؟ نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتيه آمنوا بربهم وزدناهم هدى) بمعنى تتبع الخبر فى التاريخ . (انظر عباس محمود العقاد — خواطر فى الفن والقصة — الطبعة الاولى — دار الكتاب العربى بيروت — لبنــــان — ١٩٧٣ — ص ٦٠) .

وفى تعريف الخبر هناك قول شائع فى دراسة الاعلام بأنه من السهل أن تشير الى الخبر ، ولكن من الصعب أن تضع له تعريفا جامعا . وبرغم ذلك فمن بين عشرات التعريفات للخبر هناك تعريفات تقليدية منها :

* الخبر هو الجديد الذى يتلهف القراء على معرفته .

* الخبر وصف أو تقرير دقيق غير متحيز للحقــائق الهامة حــول واقعة جديدة تهم القراء .

* الخبر بعض وجــوه النشاط الانسانى الذى يهم الرأى العــام ويسليه ويضيف الى معلوماته جــديدا (انظر د. عبد اللطيف حمزة — المدخل فى فن التحرير الصحفى — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٦٥ ص ٥٧) .

ومن التعريفات الطريفة للخبر باللغة الانجليزية News أن كل حرف من هــذه الكلمة يمثل الحرف الأول من الاتجاهات الأصلية : الشــمال ، والجنوب ، والشرق والغرب .

N : North — E : East — W : West — S : South

وهو تفسير يرى فيه البعض الى جانب الطرافة معنى اهتمام الخبر بدائرة واسعة من الحياة الانسانية . (أنظر : جلال الدين الحمامصى — المندوب الصحفى — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٣ — ص ٢٤) .

(٢) د. الطاهر أحمد مكى — القصة القصيرة ، دراسة ومختارات — الطبعة الثانية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٨ — ص ٧٧ ، ٧٨ .

(٣) د. عبد اللطيف حمزة — المدخل فى فن التحــرير الصحفى — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٦٥ — ص ٩٠ .

(٤) د. الطاهر مكى — القصـــة القصيرة (مرجع سابق) — ص ٧ الى ص ١١ .

(٥) د. خليل صابات — وسائل الاتصـــال ، نشأتها وتطورها — الطبعة الثانية — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٩ — ص ٧ .

(٦) كلمة أسطورة وجمعهـا أساطير عربيـة قديمة . والأساطير فى مختار الصحاح الاباطيل . وهى فى لغتنـا العربيـة المعاصرة تعنى الحكايات الخيالية القديمة . ولكن كلمة أساطير الأولين تعنى أيضا فى اللغة العربية الكلام المسطور أى المكتوب . ويذهب العقاد الى القول بأنه من الممكن ان تكون الكلمـة احدى الألفـاظ التى تعربت عند اليونانية ، لأن (الاستوريا) عندهم بمعنى الخبر المسجل أو المعروف ولا يبعد أن يكون اليونان قـد أخـذوها عن العرب لأنهم أخذوا الكتابة عن الأمم السامية وسبقتهم عرب الشمال وعرب الجنوب الى رسم الحروف ولا تزال أسماء الألفاظ الألفا والبيتا والجـاما عندهم منقولة من الالف والياء والجيم . (أنظر عباس محمود العقاد — خواطر فى الفن والقصة) .

(٧) كان المخبر الصحفى فى اليونان القديمة يحمل الخبر فى ذاكرته ويجرى عدوا حتى يصل الى مكان نشره الذى كان غالبا ميدانا يجتمع فيه الناس . ويروى أن مخبرا صحفيا اغريقيا ظل يعدو ستة وثلاثين كيلو مترا حاملا نبـأ انتصار الجيش الاغريقى على جيش الفرس فى موقعة (مارثون) عام ٤٩٠ قبل الميلاد . ولمـا بلغ العـداء أو المخبر الصحفى بالخبر الى جمهوره خـر صريع التعب والاجهاد . وما يزال سباق المـارثون يحمـل اسم الموقعـة .

(٨) يفسر المثل العربى « فى بيته يؤتى الحكم » بقصة تقول أن الأرنب التقطت ثمرة ، فاختلسها الثعلب فأكلها ، فانطلقا يختصمان الى الضب . فقالت الأرنب : يا أبا الحسل (ولد الضب) فقال سميعا دعوت . قالت : أتيناك لنختصم اليك . قال : عادلا حكمتما . قالت : فاخرج الينا . قال : فى بيته يؤتى الحكم . قالت انى وجدت ثمرة . قال : حلوة فكليها . قالت : فاختلسها الثعلب . قال : لنفسه بغى الخير . قالت : فلطمته فقال : بحقك أخذت . قالت فلطمنى . قال : حـر انتصر . قالت : فأقض بيننا . قال : قـد قضيت ، فذهبت أقواله كلها مثلا .

(٩) اجنتس جـولد تسهر — مذاهب التفسير الاسلامى (ترجمـة د. عبد الحليم النجار) مكتبة الخانجى بمصر والمثنى ببغداد — القاهرة — ١٩٥٥ م — ص ٢٦٤ ، ص ٢٦٥ .

(١٠) عبد الكريم الخطيب — القصص القرآنى فى منطوقه ومفهومه — الطبعة الأولى — مطبعة السنة المحمدية — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ٨ ، ص ١١ ، ص ١٣ ، ص ٥٢ ، ص ٧١ .

(١١) د. محمد أبو الأنوار — من قضايا الأدب الجاهلى — مكتبـة الشباب — القاهرة — ١٩٧٦ — ص ١١١ الى ص ١١٨ .

(١٢) عباس محمود العقاد — خواطر فى الفن والقصـة (مرجـع سابق) — ص ٦٠ الى ص ٦٢ .

(١٣) د. عبد اللطيف حمزة — الاعلام فى صدر الاسلام — الطبعة الأولى — دار الفكر العربى — القاهرة — ١٩٧١ — ص ٧٧ ، ص ٧٨ .

(١٤) المصدر السابق ص ٧٩ .

(١٥) د. احمد على المجـدوب — جماعات القصاص — نشأتهـا وتطورها فى المجتمع الاسلامى — مجله الوعى الاسلامى — العدد ٢١٧ — محرم ١٤٠٣ — اكتوبر ونوفمبر ١٩٨٢ م .

(١٦) المرجـع السابق .

(١٧) حكى ان الأصمعى مر بمقبرة فوجد حجرا قـد كتب عليه هـذا البيت من الشعر :

ايا معشر العشاق بالله خبروا   اذا حل عشق بالفتى كيف يصنع ؟
فكتب الأصمعى تحته :

يدارى هـواه ثم يكتم سره   ويخشـع فى كل الأمـور ويخضع
وعاد فى اليوم التالى فوجد مكتوبا تحت بيته :

وكيف يدارى والهوى قاتل الفتى   وفى كـل يـوم قلبـه يتقطـع
فكتب الأصمعى :

اذا لم يجد صبرا لكتمان سره   فليس له كل شىء سوى الموت انفع

فعاد فى اليوم التالى فوجد شابا ملقى على الأرض وقـد فارق الحياة وقـد كتب على الحجر :

سمعنا ، أطعنا ، ثم متنا ، فبلغوا سلامى الى من كان بالوصل يمنع
(انظر : د. نبيلة ابراهيم — لغـة القصص فى التراث العربى القديم — مجلة فصول القاهرة — يناير / مارس ١٩٨٢ م) .

(١٨) د. الطاهر أحمد مكى — القصة القصيرة (مرجع سابق) — ص ٣١ .

(١٩) المرجع السابق ص ٣٦ ، ص ٣٧ .

(٢٠) من المقامة المضيرية لبديع الزمان الهمذانى :

« حدثنـا عيسى بن هشـام قال : كنت بالبصرة ، ومعى أبو الفتح الاسكندرى ، رجل الفصاحة يدعوها فتجيبه والبلاغة يأمرها فتطيعه ، وحضرنا معه دعوة بعض التجار فقدمت الينا مضيرة تثنى على الحضارة وتترجرج فى الغضارة وتؤذن بالسلامة ، وتشهد لمعاوية ، رحمه الله ، بالامامة ، فى قصعة يزل عنها الطرف ، ويموج فيها الظرف ، فلمـا أخذت من الخوان مكانها ، ومن القلوب أوطانها ، قام أبو الفتح الاسكندرى يلعنها وصاحبها ويمقتها وآكلها ، ويثلبها وطابخها ، وظنناه يمزح فاذا الأمر بالضد ، واذا المزاح عين الجـد ، وتنحى عن الخوان ، وترك مساعدة الاخوان ،

ورفعناها فارتفعت معها القلوب ، وسافرت خلفها العيون وتحملت لهــا الافــواه ، وتلمظت لهــا الشفاه ، واتقدت لهــا الأكباد ومضى فى أثرها الفؤاد ، ولكننا ساعدناه على هجرها وسألناه عن أمرها . فقال : قصتى معها أطول من مصيبتى فيها ، ولو حدثتكم بها لم آمن المقت واضاعة الوقت قلنــا : هــات .

قال : دعانى بعض التجار الى مضيرة وانا ببغداد ، ولزمنى ملازمة الغريم ، والكلب لاصحاب الرقيم ، الى أن اجبته اليها وقمنا ، فجعل طول الطــريق يثنى على زوجته ، ويفديها بمهجته ، ويصف حذقها فى صنعتها وتأنقها فى طبخها ، ويقول : يا مولاى ، لو رايتها ، والخرقة فى وسطها وهى تــدور فى الدار ، من التنور الى القــدور ، ومن القدور الى التنور تنفث بفيها النار ، وتدق بيديها الأبزار ، ولو رايت الدخان وقــد غــير فى ذلك الوجه الجميل ، وأثر فى ذلك الخد الثقيل ، لرايت منظرا تحار فيه العيون ، وأنا أعشقها لأنها تعشقنى ، ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليلته ، وأن يسعد بظعينته ، ولا سيما اذا كانت من طينته ، وهى ابنة عمى لحــاء ، طينتها طينتى ومدينتها مدينتى وعمومتها عمومتى وأرومتهــا أرومتى ... الى آخــر المقامة » .

(٢١) أول لون من القصة ، بمفهومها العــام ، عرفته أوربا فى العصر الوسيط وشاع فى أرجائها مأخوذ من أصول عربية واضحة ، هو كتاب التربية الدينية Discipina Clericalis ليهودى أندلسى من وشــقة ، يدعى موسى سفردى اعتنق الكاثوليكية عــام ١١٠٦ م . وتضمن كتــابه ثلاثا وثلاثين قصة شرقية يغلب على الظن انه كتبها بالعربية أو لا ثم ترجمها فيما بعد الى اللغة اللاتينية ونقلها عن كليلة ودمنة ورحلة السندباد ومصادر عربيــة أخــرى . وترجم كتاب كليلة ودمنــة من العربية الى الأسبانية عام ١٢٥١ م .

(انظر كتاب د. الطــاهر أحمد مكى — القصة القصيرة — مرجــع سابق — ص ٤٦) .

(٢٢) د. رشاد رشدى — فن القصة القصيرة — الطبعة الثانية — دار العودة — بيروت — ١٩٧٥ — ص ٧ الى ص ١٤ .

(٢٣) من قصص الفاشيتيا هــذا النص :

كنت فى جمع من الأصدقاء نتناقش فيما يجب أن يوقع من عقوبات على الزوجات الخائنات ، فقال صديقنا (سالوتالى) ان أفضــل عقاب فى رأيه ما هدد به رجل من بولينا زوجته ، فلما سألناه عن هــذا العقاب قال : كان لى صديق من (بولونيا) محترم بين أصدقائه الا أن زوجته كانت سخية جوادة مع الرجال ، حتى أنها تعطفت على مرة أو مرتين فى حياتها ، ففى ليلة من الليالى ذهبت الى منزل صديقى فسمعته يتشاجر مع زوجته ، وكان يؤنبها على خياناتها المتكررة ، وكانت هى مثل غيرها من النســاء فى هــذه الأحوال تنكر كل شىء ، وأخيرا صاح الزوج فى صــوت مرتفع

(جيوفانا .. جيوفانا) انى لن اضربك ولن اشهر بك ، ولكنى عزمت على امر انتقم به لنفسى وهو أن اعيش معك واجعلك تلدين طفلا بعد طفـل الى أن يمتلىء البيت بالأطفال ، ثم اترك البيت واهجرك) ... وضحكوا جميعـا لهـذا النوع الغريب من العقاب الذى اراد به الزوج الغبى أن ينتقم لشرفه من خيانات زوجته . (المصدر السابق) .

(٢٤) من قصص (الديكاميرون) قصـة عنوانها (انتصار المراة) تحكى قصة زوج غنى غيور ما زال يتشكك فى زوجته حتى دفعها لخيانته . فكانت تشجعه على شرب الخمر فاذا سكر وفقد وعيه ذهبت الى عشيقها . وذات ليلة غافلهـا الزوج متظاهرا بالنوم . وظـل ينتظر عودتها بعـد منتصف الليل ليفاجئها باغلاق الباب من الداخل ورفضه أن يفتح لها الباب . وخشيت المراة الفضيحة ، ففكرت فى حيلة ، وزعمت لزوجها أنهـا ستلقى نفسها فى البئر التى تقع خارج البوابة ، وعمدت الى حجـر كبير فألقته فى البئر . وخرج الزوج مسرعا لينقذها بالحبل والدلو . وما أن خرج حتى دخلت البيت واغلقت البـاب من الداخل . وتبـادل الزوجان الموقف . واستيقظ الجيران . الزوجة تصرخ قائلة : كان الأجدر بك أن تعود الى بيتك مبكرا بدلا من شرب الخمر الى ما بعد منتصف الليل . والزوج يقص القصة الحقيقية . ولكن الزوجة تبكى أمام الجيران وتتهمه بالسكر وسبها فى عرضها . وينتقل الخبر الى اهل الزوجة فيضربون الزوج عقـابا على اتهـام ابنتهم . ويعيش الزوج فى البيت منبوذا ، ويدفعه الضجر الى طلب الصلح بعد أن يقسم على اقلاعه عن الغيرة والسماح لزوجته بأن تفعـل ما تشاء بشرط أن تتصرف بحكمة وروية . ثم يختم المؤلف قصته قائلا : وهكذا ساد السلام مرة أخرى بين الرجل وامراته رغم ما لحقه من أضرار . فلتقل معى أيهـا القارىء : يحيا الحب ، والموت للحرب ولكل من يعلنها على النساء . (المصدر السابق) .

(٢٥) د. الطاهر احمد مكى — القصة القصيرة (مرجع سابق) — ص ٥٠ الى ص ٥٤ .

James E. Comls and Michael W. Monsfield - DRAMA in LIFE - The Uses of Communication in Society - Hasting House - New York -1976 - P. 388 - 409 (Bill Kinser and Neil Kleinman)

(٢٧) د. زكى نجيب محمود — ثقافة اخرى — جريدة الأهرام — بتاريخ ١٩٧٧/٩/٨ م .

(٢٨) فن الصحافة — اعداد ادموند — د. كولنتز — ترجمة أنيس صايغ — دار الثقافة — بيروت — ١٩٥٨ — ص ٢١١ .

(٢٩) أ.م فورستر — أركان القصـة (ترجمة كمال عياد)— دار الكرنك — القاهرة — ١٩٦٠ — ص ١٠٥ .

(٣٠) اركان القصة (المرجع السابق) — ص ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ .

(٣١) د. رشاد رشدى — الفن هروب من الذات — جريدة الاهرام — بتاريخ : ١٩٨٢/٤/٨ م .

(٣٢) يطلق بعض النقاد والباحثين العرب تسمية الأقصوصة على القصة القصيرة بصفة عامة ، بل ويفضلون لفظ الأقصوصة على الترجمة الحرفية القصة القصيرة .

(٣٣) صبرى حافظ — الخصائص البنائية للأقصوصة — مجلة فصول — المجلد الثانى — العدد الرابع — يوليو / سبتمبر ١٩٨٢ .

(٣٤) Gene Gilmore, Robert Root — Modern Newspaper Editing — Second Edition — Bayed and Frastar Publishing comany — San Francisco — U.S.A. — 1976 P. 285 - 287.

(٣٥) المصدر السابق — ص ٢٨٧ .

(٣٦) توماس بيرى — الصحافة اليوم تطورها وتطبيقاتها العملية — ترجمة مروان الجابرى — مؤسسة أ. بدركان وشركاه — بيروت — ١٩٦٣ — ص ٩٥ .

(٣٧) William L. Rivers — The Mass Media — Reporting. Writing — Editing — Universal Book Stall — Delhi — 1967 — P. 155 - 165.

(٣٨) د. عبد اللطيف حمزة — المدخل فى فن التحرير الصحفى — (مرجع سابق) — ص ٩٠ الى ص ٩٨ .

(*) صبرى حافظ — الخصائص البنيانية للأقصوصة .
و د. عبداللطيف حمزة — المدخل فى فن التحرير الصحفى (مرجعان سابقان).

(٣٩) جريدة الأخبار بتاريخ ١٩٧٩/٥/٧ الصفحة الثالثة .

(٤٠) صبرى حافظ — الخصائص البنائية للأقصوصة — مجلة فصول — المجلد الثانى — العدد الرابع — يولية / سبتمبر ١٩٨٢ .

المراجــــع

١ — أ. م. فورستر — اركان القصة (ترجمـــة كمال عياد جاد) — دار الكرنك — القاهرة — ١٩٦٠ .

٢ — ادموند د. كوبلنتز — فن الصحافة — ترجمة انيس صايغ — دار الثقافة — بيروت — ١٩٥٨ .

٣ — د. أحمد على المجدوب — جماعات القصاص — نشأتها وتطورها فى المجتمع الاسلامى — مجلة الوعى الاسلامى — الكويتية — العدد ٢١٧ محرم ١٤٠٣ هـ اكتوبر ، نوفمبر ١٩٨٢ م .

٤ — د. الطاهر أحمد مكى — القصة القصيرة ، دراسة ، ومختارات — الطبعة الثانية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٨ .

٥ — توماس بيرى — الصحافة اليوم — تطـــورها وتطبيقاتهـــا العملية (ترجمـــة مروان الجـــابرى) — مؤسســة ا. بدران وشركاه — بيروت — ١٩٦٤ .

٦ — جلال الدين الحمامصى — المندوب الصحفى — دار المعـــارف — القـــاهرة — ١٩٦٣ .

٧ — د. زكى نجيب محمود — ثقافة أخرى — جريدة الأهرام بتـــاريخ ١٩٧٧/٧/٨ .

٨ — د. رشاد رشدى — الفن هروب من الذات — جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٢/٤/٨ .

٦ — د. عبد اللطيف حمزة — المدخل فى فن التحرير الصحفى — الطبعة الثالثة — دار الفكر العربى — القاهرة ١٩٦٥ .

١٠ — عبد الكريم الخطيب — القصص القـــرآنى فى منطوقه ومفهومه — الطبعة الأولى — مطبعة السنة المحمدية — القاهرة — ١٩٦٤ .

١١ — د. على عبد الحليم محمود — القصة العربية فى العصر الجاهلى — الطبعة الثانية — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧٩ .

١٢ — د. فاروق ابو زيد — فن الخبر الصحفى — الطبعـــة الأولى — دار المـــأمون للطباعة والنشر — القاهرة — ١٩٨١ .

١٣ — فيكتور شكلوفسكى — بنية الرواية وبنية القصة القصيرة (ترجمة وتقديم سيزا قاسم) مجلة فصول — المجلد الثانى العدد الرابع — القاهرة — يولية ١٩٨٢ .

١٤ — د. شكرى محمد عياد — فن الخبر فى تراثنا القصصى — مجـــلة فصول — المجلد الثانى — العـــدد الرابع — يولية — اغسطس وسبتمبر ١٩٨٢ .

١٥ — صبرى حافظ — الخصائص البنائية للأقصوصة — مجلة فصول — المجلد الثانى — العدد الرابع — يولية / سبتمبر ١٩٨٢ .

١٦ — د. محمد أحمد خلف الله — الفن القصصى فى القــرآن الكريم — الطبعة الرابعة — مكتبة الأنجلو المصرية — القاهرة — ١٩٧٢ .

١٧ — محمد يوسف نجم — فن القصة — الطبعة السابعة — دار الثقافة— بيروت — ١٩٧٩ .

١٨ — د. محمود أدهم — فن الخبر — الطبعة الأولى — دار الشـعب — القــاهرة — ١٩٧٩ .

١٩ — د. نبيلة ابراهيم — لغة القصص فى التراث العربى القــديم —

1 — Gene Gilmore, Robert Root — Modern Newspaper Editing — Second Edition — Bayed And Faster Publishing Company — San Francisco — U.S.A. 1976.

2 — Growell Alfred — Creative News Editing — Second Edition — Willims Brown — Dubuque — U.S.A. 1974.

3 — James E. Combs And Michacl W. Mansfield — Drama In Life — The Uses of Communication In Society — Hastings House Publishers — New York 1976.

4 — William L. Rivers — The Mass Media — Reporting .. Wrtiing .. Editing — Unversal Book Stall — Delhi — India — 1967.

الفصل الثالث

ما المجلة الأدبية ؟

ما الصحيفة ؟ الصحيفة لغـــة الكتاب أو الورقة وجمعها صحف وصحائف والصحيفة اصطلاحا عدة ورقات تصدر يوميا أو فى مواعيد منتظمة ، حافلة بأخبار السياسة والاجتمـــاع والاقتصـــاد والثقـــافة وما يتصل بذلك [1] .

وتاريخ اللفظ فى اللغـــة العربية موغل فى القدم . فقـــد ورد فى القرآن الكريم « صحف ابراهيم وموسى » ، كما أن المصحف ذاته فى اللغة مأخوذة من أصحف أى ما جمعت فيـــه الصحف . أما تاريخ الاصطلاح فحديث قريب العهد ، فقـــد كان الشيخ نجيب الحـــداد (١٨٦٧ ـــ ١٨٩٩) منشىء صحيفة « لسان العرب » فى الاسكندرية أول من استعمل لفظ الصحافة بمعنى صناعة الصحف والكتابة فيها [2] . ولكن الاصطلاح يشمل الصحف جميعـــا جرائد ومجلات ودوريات . بل يذهب بعض أساتذة الصحافة الى توسيع دائرة الاصطلاح الصحفى ليشمل معظم وسائل الاعلام ، فالاذاعة عندهم صـــحافة مسموعة ، والتلفزيون صحافة مرئية ، والجرائد والمجلات وغيرها صحافة مكتوبة . وعلى ذلك فان أضيق حدود الاصطلاح تشمل الجرائد والمجلات .

الجريدة والمجـــلة :

ما الفرق اذن بين الجريدة والمجـــلة ؟

لو رجعنا الى كتب اللغـــة العربيـــة وقواميسها لوجدنا أن كلمة جريدة تعنى الخيل أو سعف النخيل [3] ، وهى بذلك بعيدة كل البعد عن المعنى المصطلح عليه الآن للصحيفة اليومية . أما كلمة مجلة فهى فى القواميس العربيـــة مرادفة لكلمـــة صحيفة ، وهى تقترب اقترابا شديدا من المعنى المصطلح عليه الآن للمجلات الأسبوعية وما يشابهها .

وفى رأيى أن كلمة جريدة بمعنى الصحيفة اليومية أطلقت فى العصر الحديث عند العرب مأخوذة من كلمة « جازيت » Gazette ومن كلمة جورنال Journal الفرنسية [٤] • والثقافتان الانجليزية والفرنسية هما المصدران الأساسيان للثقافة العربية الحديثة حتى نهاية الحرب العالمية الثانية ، الى جانب تراث العرب وحضارتهم القديمة • ويذهب أديب مروة الى أن العرب لما عرفوا الصحافة فى مطلع القرن التاسع عشر لأول مرة كانوا يطلقون عليها لفظ الوقائع • وأنه حين أنشأ خليل الخورى عام ١٨٥٨ صحيفة حديقة الأخبار — وهى فى رأى أديب مروة أول صحيفة عربية بالمفهوم الحديث — أطلق عليها التعريف الفرنسى « جورنال » ، كما يذكر أن القس لويس صابونجى (١٨٤٣ — ١٩٢٨) صاحب مجلة النحلة استعمل لفظة نشرة بمعنى جريدة أو مجلة •

ويرى الدكتور محمود عزمى [٥] أن الدحداح أول من استعمل لفظ الصحيفة بالمعنى المصطلح عليه الآن • ويسرد الدكتور عزمى تاريخ التسمية فى مصر والوطن العربى مشيرا الى أن مصر استعارت التسمية الفرنسية « جورنال » عندما أصدر محمد على « جورنال الخديوى » عام ١٨٢٨ ، وأن مصر استعارت ومعها الوطن العربى فى أحيان أخرى تسمية « كازته » بالكاف أو « غازته » بالغين ، والكاف فى التركية تنطق جيما معطشة • والغين راجعة الى تعريب « الجاما » اليونانية أيام العباسيين عند حد قولهم « فيثاغورس » و «غالينوس» و «غراماطيقا» وبالتعبير بالكازتة والغازتة أخذت الحكومة العثمانية ، وتواتر التعبير « بالجرنال » « والغازتة » ثلاثين عاما منذ صدور « جورنال الخديو » الى صدور « برجيس باريس » عام ١٨٥٨ ، وان كانت هذه الفترة قد تخللها استعمال بعض ألفاظ أخرى لم يكتب لها التوفيق ولم يكن لها الاستقرار كلفظ « نشرة » أو « الورقة الخبرية » أو « الرسالة الخبرية » •

وقد صدرت « برجيس باريس » باللغة العربية فى العاصمة الفرنسية عام ١٨٥٨ لصاحبها رشيد الدحداح برعاية من سعيد باشا

والى مصر ، فخرجت عن التعبيرين التقليديين « جورنال » و « غازتة » ووصفت نفسها بأنها صحيفة • ثم نشرت للشـــاعر قبادو التونسى ترحيبا بهـــا وبصاحبها فى قصيدة جاء فيها :

فتروى لك الدنيـــا بعرض صـــحيفة

وتشــــهد من أبنائهـــا كل غائب

وشاع بعد ذلك استخدام كلمة الصحيفة فى الدوريات ، وفى قوانين المطبوعات • وهكذا استقر لفظ الصحيفة للمعنى الاصطلاحى فى اللغة العربيـــة •

ويضيف الدكتور عزمى بأن الفقهاء والأدباء استساغوا اللفظ الذى جاءهم من باريس فاحتضنوه ، ولكنهم كانوا على عادة أهــل الأدب فى كل زمان ومكان منقسمين شيعا وأحزابا • وكان رشيد الدحداح زعيم جماعة تنافسها جماعة أخرى • من أركانها أحمد فارس الشدياق الذى كان قـــد تتلمذ فى مدرســـة الوقائع ، وكان قـــد ذهب الى الاستانة وأنشأ فيها جريدة « الجوائب العربية » فى سنة ١٨٦٠ • فما أن عبر الدحداح عن دوريته التى أصـــدرها فى باريس بالصحيفة حتى راح الشدياق يبحث عن لفظ آخر يناهض به لفظ الدحداح ، وكان قد عرف فى مصر لفظ الجريدة قائمة لتسجيل الحساب وضبط الأموال ، فقاس على تسجيل الحساب تسجيل الحـــوادث وأطلق على دوريته اســـم الجريدة وأنشأ يعارض به اسم الصحيفة ، الذى أذاعه الدحداح •• ونجح فى ترويج اللفظ الجديد الذى سرعان ما استقر فى لغة الصحافة كما استقر لفظ الصحيفة من قبل •

المقاييس الثلاثة :

وفى رأيى أنه يمكن التفرقة بين الجريدة والمجلة بثلاثة مقاييس رئيسية تحوى الشكل والمضمون لكل صحيفة • أولها الفترة الزمنية لتتابع الصـــدور ، وهـــذا المقياس وان بدا لأول وهلة فى الشكل —

لكنه الأهم عندى — لأن الصدور اليومى لصحيفة ما يؤكد كونها جريدة ولأن هذا المقياس أيضا مرتبط بالمضمون ارتباطا وثيقا لأن الصحيفة اليومية لا يمكن أن تتخصص كما تتخصص المجلات •

المقياس الثانى : هو المادة التحريرية ، وهى فى الجريدة الخبر فى المحل الأول ، وفى المجلة المقال بأشكاله المتعددة ، والتقرير الصحفى بأنواعه الأربعة من حديث وتحقيق وريبورتاج وماجريات الى جانب القصص والطرائف والرسوم والصور وما شابه ذلك •

المقياس الثالث : هو الحجم ، فقد درجت الجرائد خلال تاريخها العالمى أن تكون فى حجم أكبر كما درجت المجلات خلال تاريخها العالمى ان تكون فى حجم أصغر ، برغم صدور صحف يومية بالحجم النصفى « التابلويد » وبرغم صدور مجلات بحجم الصحف اليومية ، ولكن العبرة بالأغلب والأعم ، وما شذ عن هذه القاعدة قليل •

الى جانب هذه المقاييس الثلاثة الرئيسية توجد مقاييس ثانوية كنوع الورق والغلاف واستخدام الألوان وطريقة الطباعة والاخراج الصحفى ، واختلاف كل ذلك بصفة عامة فى كل من الجريدة والمجلة •

تعريف المجلة :

واذا تعقبنا التاريخ الاصطلاحى للمجلة وجدنا أن الشيخ ابراهيم اليازجى أول من استخدم الكلمة بمعناها المصطلح عليه عندما اشترك مع الدكتور بشارة زلزلة والدكتور خليل سعادة فى ادارة صحيفة الطبيب البيروتية عام ١٨٨٤ ، وهو أول من أشار باستعمال كلمة مجلة قائلا عنها : انها صحيفة علمية أو دينية أو أدبية أو انتقادية أو تاريخية أو ما شاكل ذلك ، تصدر تباعا فى أوقات معينة •

ويعرف الدكتور مهدى علام [٦] المجلة فيقول :

« لو شئنا اليوم أن نضع تعريفا جديدا للمجلة لقلت عنها انهـا صورة مختصرة سريعة رخيصة الثمن لدوائر المعارف » • بينما يعرفها الدكتور شكرى فيصل بأنها ظاهرة من ظواهر الحياة الحديثة أو مؤسسة من مؤسسات هذه الحياة الخصبة التى يعيشها العالم فى هذين القرنين • انها وجدت مع هـذا التقدم الفكرى الذى غمر العالم ، وهذه الحاجة الى تبادل الرأى وتقابل الفكر قبل أن يكون قادرا على أن يتمثل تمثلا كاملا فى كتاب بين المفكرين (٧) • ويرى الدكتور مهدى (٨) أن وظيفة المجلة كانت قائمة فى حياة المجتمع العربى منذ قديم • بل يذهب الى أن كلمة Magazine التى يستعملها الانجليز وغيرهم بمعنى مجلة كلمة عربية الأصل • وفى رأيه أن مجالس الأدب والمناظرات والأمالى ، وتناقل الروايات كانت من صور المجلات فى القديم • ويفسر قوله بأن كلمـة Magazine عربية الأصـل وأن أول استعمالها بمعنى الصحيفة الدورية المشتملة على مقالات فى موضوعات مختلفة كان فى سنة ١٧٣١ عندما ظهرت مجلة The Gentelman's Magazine وقـد وصفت نفسها بأنها مجموعة شهرية تضم فيما يشبه المخزن مقالات فى الموضـوعات التى ستتناولها بالكتابة • وهـذا المخزن الذى تشير اليه راجع الى أن كلمة Magazine استعملت فى أوربا أول ما استعملت بمعنى مخزن للبضائع نقلا عن كلمة مخزن من الفعل خزن • وكان هـذا الاستعمال شائعـا فى الأسبانية والفرنسية ، ثم استعمل لخزان البندقيـة الذى يحتوى على عـدة طلقات من الرصاص (٩) •

وكما سبق القول بأن كلمة مجلة مرادفة لكلمة صحيفة فى قواميس اللغة العربية نجد أن المعنى القديم للكلمة يقترب من المعنى المصطلح عليه اقترابا شديدا •

المجـلة الادبيـة :

يرى الدكتور شكرى فيصل أننا لسنا فى حاجة الى تحديد مفهوم الأدب لفهم المجلة الأدبية • ويرى أننا لسنا فى حاجة الى خوض معركة

نظرية فى هـذا الموضوع ما دام من اليسير علينا أن نعرف المجلة الأدبية بسماتها العامة ، والدكتور فيصل لا يريدنا أن نفهم الأدب بمعناه الضيق الخاص .. معنى الأدب الانشائى الصرف ولا معنى الدراسة الأدبية ، وهو لا يريدنا أيضا أن نفهم الأدب بمعناه العام من حيث أنه مجموعة من الدراسات الانسـانية والفكرية . ويقول محاولا تحـديد رأيه : « وانما نريد أن نستعين هنـا بالمفهوم المعاكس . ان مجلة المقتطف لبست مجلة أدبية ، ونحن متفقون على ذلك . انها مجلة علمية وان كنا نلقى فيها جانبا أدبيا ، ومجلة الأزهر كذلك ليست مجلة أدبية ، قـد تكون تناولت الحياة الأدبية أو النقد اللغوى ، ولكن لها طابعا خاصا يميزها ، انها يمكن أن تدرج فى نطـاق المجلات الدينية . ولكن مجلة الزهراء التى كان يصدرها الأستاذ محب الدين الخطيب مجلة أدبية لا شـك فى ذلك [١٠] وبعد أن يستعرض الدكتور شكرى فيصل أسماء بعض المجلات فيبعدها عن المجلات الأدبيـة ، ثم يستعرض بعض المجلات ويقول هـذه فى صميم المجلات الأدبية وينهى الرأى بقوله : « كذلك ترون أننـا نستطيع فى يسر أن نستبعد وأن نستبقى دون أن نغرق فى تعريف الأدب فالمجـلة الأدبيـة ذات سمات واضحة لا يمكن أن تغيب عنـا [١١] .

ويقضى واجب الأمانة أن أبين أن الدكتور شكرى فيصل لم يضع تعريفا محددا ولا تصورا واضحا للمجلة الأدبية غير ذكر الأمثلة .

ولا شك أن الدكتور محمد الصادق عفيفى [١٢] قـد تأثر برأى الدكتور شكرى فيصل فى رسالته عن الصحافة الأدبية وأثرها فى تطور الأدب الحديث بالمغرب الأقصى عندما قرر « اننا لسنا فى حاجة الى خوض معركة نظرية لتحديد مفهوم الأدب لنصل منه الى فهم المجـلة الأدبية فمن اليسير على أى باحث أن يتعرف على المجلات الأدبيـة بمجرد تصفح فهرسها ، فهى ذات سمات واضحة وشعارات خاصـة لا تغرب عن فكر القارىء » .

ويجيب فاروق خورشيد عن السؤال : هل المجلات الأدبية تعتبر من الأعمـال الصحفية أم لا ؟ فيرى أنها ليست صحافة وانمـا هى مطبوعات خاصة دورية لفئات معينة من الناس وهـذه الفئات يحددها لون المجلة ورسالتها وموقفها من الحياة الفكرية والثقافية ، وما تمثل من قطاعات فى المجتمع الذى تعيش فيه (١٣) ، وفاروق خورشيد يصـل الى هـذا الرأى بعد أن يطرح السؤال ويبدأ الاجابة قائلا : الاجابة التى تخطر على الذهن لأول وهلة هى أن المجلات الأدبية عمل صحفى ، ما فى ذلك شك فهى تأخـذ شكل المجلة الأسبوعية أو الشهرية ، وهى تصدر دوريا وبانتظام ، وبناء على ترخيص خاص يمر بنفس المراحل التى يمر بهـا ترخيص أى مجلة أخرى وبنفس الشروط وعلى نفس الأسس ، ثم هى تجعل من المجلة الأدبية صحافة ، ولكن هـذا كله من الناحية الشكلية البحتة ، أما من الناحية الموضوعية فما هى الصحافة التى نريد أن ندرج تحتها الأعمـال الفكرية والأدبية التى تجمعها فى دوريات نسميها بمجلات ؟ الصحافة فى أبسط تعريفاتها هى أهم وسائل الاعلام المعاصرة • معنى هـذا أنها تقوم أولا وأخيرا على الأخبار ، فهى ما وجدت الا لتجمع الخبر من هنا وهناك ، ثم تذيعه على أكبر قدر ممكن من الناس ، اما خالصا لوجـه الحقيقة أحيانا واما موجها يحمل فى طياته الرأى والتوجيه والدعاية فى أغلب الأحيان ، وهـذا الرأى يخرج المجلات الأدبيـة من الصـحافة عموما ، ويرى أنهـا مطبوعات خاصة دورية لفئات معينة من الناس • وبرغم التعـارض والخـلاف بين رأى الدكتور شكرى ورأى الأسـتاذ فاروق فانهمـا لا يجيبان عندى اجابة محددة وتعريفية للسؤال وهو : ما المجلة الأدبية؟

محاولة لتحـديد المفهوم :

ووضـع قاعدة لتحديد مفهوم المجلة الأدبية كاصطلاح فى علم الصحافة لا يحتاج فى نظرى الى تعريف المجـلة وتعريف الأدب ثم الخروج من التعريفين بالتعريف المركب الجديد وهو المجلة الأدبيـة • الأمر أيسر من ذلك وأبسط • ولنبدأ بتقسيم المجلات من حيث فترات

الصدور ومن حيث المـــادة التحريرية ، انهـــا من حيث الفترات الزمنية للصـــدور : مجلات أسبوعية ونصف شهرية وشهرية وفصلية ونصف سنوية وسنوية ، هـــذا ما لم يكن هناك خلل فى مواقيت الصـــدور •
والمجلات من حيث المـــادة التحريرية اما عامة تخاطب القراء جميعـــا واما متخصصة ، والتخصص فى المجلات وفقا للمعلومة ومثاله المجلات الاقتصادية ، والفنية ، والأدبية ، والزراعية وهكذا ، وفقا للاهتمامات وتخصص المخاطب ومثال ذلك مجلات الشباب ، والعمال ، والطلبـــة والمهندسين والمعلمين وهكذا •• ومن البديهى أن التخصص فى المعلومة يجلب تخصصا من القـــراء والتخصص فى الاهتمامات يوجب تخصصا فى المـــادة التى تتناولها المجـــلة •

المجلة الأدبية هى المجـــلة التى يكون للأدب على صفحاتها أوفر نصيب بصورة كميـــة أو كيفية ، بمعنى أن تكون الغلبـــة للأدب فى المساحة المنشورة أو يكون الاهتمام الأول للأدب فيما تتناوله وتنشره ، ان فكرة الأدب الخالص لا يمكن أن تتحقق فى مجلة لأن عملية النشر الصحفى تتطلب التنوع ، وارضاء أكبر عدد من القراء حتى لو كانت تخاطب فئة معينة وعينة مختارة أو جمهورا خاصا من القراء • مثال ذلك أن مجلة المهندسين التى تصدرها نقابة المهندسين تنشر شعرا فى بعض أعدادها ومجلة العمال التى يصدرها اتحاد العمال تنشر أخبار السينما والمسرح • فكرة الأدب الخالص لا يمكن أن تتحقق الا فى الكتاب • ولكن المجلة الأدبية هى ما غلب عليها الأدب كما أو كيفا • وان كان من البديهى أيضا أن الكم والكيف مرتبطان • ولكى أوضح رأيى فان ما أقصده أن يكون الاهتمام فى المجلة على أية صورة هو الأدب ، فاذا افترضنا نظريا أن مجلة لا تنشر على صفحاتها مقالا واحدا أو قصـــة أو قصيدة وأن ما تنشره هو أخبار الكتب وأخبـــار الأدباء وأخبـــار المحاضرات والندوات والجمعيات الأدبيـــة ، هى — فى رأيى — مجلة أدبيـــة • كذلك كل مجـــلة تختص بجنس أو فرع أو لون من الأدب كالقصة أو الشعر ، هى مجلة أدبية • المجلة الأدبية اذن هى اصطلاح

يقصـد به المجلة التى تعنى بالأدب فى المحـل الأول • ولكن تبقى ملاحظتان لابد من وضعهما موضع الاعتبار فى تحديد اصطلاح المجلة وفى تحديد مفهوم الثقافة ، لأن الخلط فى تعريف المجلة الأدبية يأتى من هذين البابين ، الملاحظة الأولى أو الباب الأول هو ضرورة التأكيد على أن المجلة دورية تمثل عملا صحفيا بكل ما يتطلبه العمل الصحفى من عناصر ، وما يقتضيه من التزامات وما يفرضه العرف الصحفى من عمومية واتصال مباشر بجماهير القراء • ولابد لهـذا العمل الصحفى أن يتوافر فيـه شرط النية والقصـد الصحفى ، وليس مجـرد النشر والصدور • وترتيبا على ذلك ليست مضابط البرلمـانات أو تقـارير النشاط السنوى للهيئات الثقافية أو ما شابهها مجلات • حتى لو اتخذت لنفسها عنوان مجلة وانتظمت فى الصدور • ان التسمية الأوفق والأكثر ملاءمة لمثل هـذه الدوريات هى النشرة (١٤) •

الملاحظة الثانية أو الباب الثانى الذى يلج منه الخلط فى تعريف المجلة الأدبيـة هو ضرورة تحـديد مفهوم الثقافة • وأول ما ينبغى الافضاء به فى هـذا الصدد هو أن كل صحيفة هى ثقافة بوجه عام ، فالجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية العامة والمتخصصة كلها تشترك فى الصفة الثقافية ، ولكن الأمر ليس بهـذا اليسر مع المجلات الأدبية بصفة عامة • ولنقف أمام مفهوم الثقافة بوجه عام (١٥) لتحديد مصطلح عربى معاصر لكلمـة الثقافة •

معنى الثقافة :

يتداخل مفهوم الثقافة مع الحضارة ومع الدين والعلم والتربية والاعلام وغير ذلك • ويختلف تفسير الأنظمة السياسية لمعنى الثقافة وارتباطها أو انعزالها الطبقى • ولكل جانب من الجوانب المتعلقة بالثقافة الدراسة التى تكتشفه وتستقصيه وهى فى مجموعها لا تعنينا فى هـذا المجال الا أن نستخلص من مجرد الوقوف أمامها مصطلحا عربيا لكلمة

الثقافة وهو فى رأيى : « الثقافة تعبير عن الفكر الانسانى وتنمية لهذا الفكر بمختلف الوسائل المتاحة فى المجتمع » .

ان هــذا المفهوم الواسع لمعنى الثقافة يبعدنا عن الخلط واللبس بين المجلة الأدبية والمجلة الثقافية . بل حتى لا يجيز لنا أن نقــول مجلة ثقافية لأن كل مجلة هى ثقافية بمعنى عام .

المراجـــع

١ — خليل صابات : الصحافة رســالة واستعداد وفن وعلم — دار المعارف — الطبعة الثانية — ص ١٣ ، ١٤ .

٢ — أديب مروة : الصحافة العربية — نشأتها وتطورها — دار مكتبة الحياة — بيروت — الطبعة الأولى ، ١٩٦١ ، ص ١٥ .

٣ — فى لسان العرب لابن منظور ص ٩٠ :

« وخيل جريدة لا رجالة فيهــا ويقال : ندب القائد جريدة من الخيل اذا لم ينهض معهم راجلا ، قال الاحمص : الجــريدة التى جردها من الصغار . . قال أبو مالك : الجريدة الجماعة من الخيل »
وفى صفحة ٩١ :

« الجريدة سعفة طويلة رطبة . قال الفارسى هى رطبة سعفة ويابسة جريدة . وقيل الجريدة للنخلة كالقضيب للشجرة ، وذهب بعضهم الى اشتقاق الجــريدة فقــال هى السعفة التى تقشر من خوصها كما يقشر القضيب من ورقه . والجمع جريد وجرائد . . قال ابن سيده : والصحيح أن الجريد جمع جريدة كشعير وشعيرة .

حديث عمر : ائتنى بجريدة ، وفى الحديث : « كتب القــرآن فى جرائد » جمع جريدة . قال الأحمص : هو الجريد عند اهل الحجاز واحدته جريدة وهو الخوص والجردان — قال الجوهرى الجــريد الذى يجرد عنه الخوص ولا يسمى جريدا ما دام عليه الخوص ، وانما يسمى سعفا » — لسان العرب للعلامة ابن الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى — الجــزء الرابع — الطبعة الأولى — المطبعة الأميرية ببولاق مصر المعزية سنة ١٣٠٠ هجرية — صفحة ٩٠ وصفحة ٩١ .

ويذكر أديب مروة فى كتابه الصحافة العربية نشأتهــا وتطورها ان أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ — ١٨٨٨) استعمل لفظة جريدة بدلا من صحيفة وان لفظة جريدة مأخوذة عن الجرائد اى قضبان النخل المجردة من خوصها . وانه قــد جرت العادة عند العــرب بعد الاسلام أن تكتب بعض العبارات والآيات القرآنية على قضبان النخل عند دفن الميت ، وتوضع هــذه الجــرائد المكتوبة فى قبره وما تزال هــذه العادة سارية عند المسلمين الى يومنا هــذا ومن هنا كانت التسمية مجازية بمعنى أن الجريدة هى ما يكتب عليها ، هــذا هو ما أورده أديب مروه . وهو فى رأيى تفســير بعيد عن الواقع لأن الجريد كان يستخدم فى الكتابة عند العرب فى الجاهلية وفى الاسلام وانه كان ضمن ما كتب عليه آيات القرآن كالعظــام والجلود عند نزول الوحى .

=

= ثم ان جمهور المسلمين لا يدفن مع الميت شيئا سواء فى القدم او فى أيامنا هــذه . ولكنهم يضعونه فوق القبر كما توضع باقات فى معظم بلدان العالم . وفى بعض الأحيان يضعون زهورا حولهــا سعف من النخيل فى مصر .

٤ — يعبر فى البلدان العربية عن الدورية اليومية بألفــاظ « جازيت » Gazette وجـــورنال Journal الفرنسيتين ، « ونيوز بيبر » News Paper الانجليزية « وزايتنــج » Zeitung الالمــانيــة و « جازيتا » الايطالية . وعن الدورية الأسبوعية بألفاظ « ريفيو » Revoe الفرنسية و « ريفيــو Review وماجزين Magazine الانجليزيتين ، و « زايتكريفت » Zeitschrift الالمــانية وريفستا Rivista الايطــالية . ويتراوح المعنى عند التعبير عن الدورية اليومية بين اعتبار الزمان فى كلمتى جــورنال Journal وزايتنج Zeitung والأولى مشتقة من كلمة « جور » Jour (النهــار او اليوم) ، والثانية مشتقة من كلمة Zeit أى الوقت ، واعتبار اذاعة الخبر فى كلمة نيوز بيبر News Paper ، واعتبار الرواية السريعة فى كلمتى » جازيت « Gazette و « جازيتا » Gazette وان كان الأخذ التاريخى لهذه الكلمة Gazette يرجع الى أنها كانت اسما لقطعة العملة الصغيرة التى كانت تباع بهــا الدورية الأولى التى صدرت بمدينة البندقية فى عام ١٥٠٦ .

(د. محمود عزمى — محاضرات بمعهد الصحافة عــام ١٩٤٠ بجامعة القــاهرة) .

٥ — محمود عزمى : محاضرات بمعهد الصحافة بكلية الآداب جامعــة القــاهرة عام ١٩٤٠ .

٦ — محمد مهدى علام — خطبــة بمجمع اللغة العربية بالجيزة بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٩٦٨ .

٧ — شكرى فيصل — الصحافة الأدبية وجهــة جديدة فى دراسة الأدب المعاصر وتاريخه — معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٦٠ .

٨ — محمد مهدى علام : خطبة بمجمع اللغــة العربية بالجيزة بتاريخ ٣١ يناير سنة ١٩٦٨ .

٩ — فى لسان العــرب :

« والمجلة صحيفة يكتب فيها قال ابن سيده : والمجلة الصحيفة فيها الحكمة كذلك روى بيت النابغة :

مجلتهم ذات الاله ودينهم قويم   فما يرجون ؟ خير العواقب

يريد الصحيفة لأنهم كانوا نصارى فعنى الانجيل قال أبو عبيده كل كتاب عند العرب مجلة وفى حديث بن الصامت قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : لعل الذى معك مثل الذى معى ؟ فقال =

= وما الذى معك ؟ قال مجلة لقمان . كل كتاب عند العرب مجلة ، يريد كتابا فيه حكمة لقمان ، ومنه حديث أنس « ألقى الينا مجال » هى جمع (لسان العرب) للعلامة أبى الفضل جمال الدين محمد ابن مكرم المعروف بابن منظور الافريقى المصرى — الطبعة الاولى — المطبعة الأميرية ببولاق مصر المعزية سنة ١٣٠٢ هجرية — صفحة ١٢٧ .

١٠ — شكرى فيصل : الصحافة الأدبية وجهة جديدة فى دراسة الأدب المعاصر وتأريخه — معهد الدراسات العربية العمالية — ١٩٦٠ — صفحة ٤٠ ، ٤١ .

١١ — شكرى فيصل : الصحافة الأدبية وجهة جديدة فى دراسة الأدب المعاصر وتأريخه — معهد الدراسات العربية العالية — ١٩٦٠ — صفحة ٤٠ ، ٤١ .

١٢ — محمد الصادق عفيفى : الصحافة الأدبية وأثرها فى تطور الأدب الحديث بالمغرب الأقصى رسالة حصل بها على الدكتوراه فى الأدب من كلية دار العلوم — قسم الدراسات الأدبية — جامعة القاهرة — مكتبة جامعة القاهرة برقم ٦٥٧ صفحة ١٥٢ .

١٣ — فاروق خورشيد : بين الأدب والصحافة — الطبعة الأولى . الدار المصرية للنشر سنة ١٩٦١ صفحات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٩ .

١٤ — أن مجلة مجمع اللغة العربية — فى رأيى — نشرة وجريدة الوقائع الرسمية فى صورتها الراهنــة فى رأيى نشرة وكذلك ما تصــدره المؤسسات والهيئات من مجلات .

١٥ — فى مختار الصحاح ثقف الرجل من باب ظرف صــار حاذقا خفيفا فهو ثقف مثل ضخم ومنه المثاقفة ، وفى مختار الصحاح أيضــا أن الثقاف ما تسوى به الرماح ، وتثقيفها تسويتها ، وفى لسان العرب ثقف الرجل صــار حاذقا فطنا .

ومن ذلك نرى أن كلمة ثقافة فى اللغة العربية مجاز مأخــوذ من تثقيف الرمح أى تسويته .

ومن الشعر العربى القديم قول ابن دريد : والشيخ ان قومته من زيغه لم يقف التثقيف منه ما انحنى ، التثقيف بمعنى التهذيب والتقويم الخلقى .

وفى اللغة الانجليزية نجد أن معنى الثقافة فى الكلمة Cuture معنى مجازى انتقلت اليه الكلمة من المعنى الحسى الأصلى ، وهــو معنى الزراعة أو التربة المــادية . ولهذا تدخل كلمة Culture فى تركيب كلمة الزراعة فى اللغة الانجليزية Agriculture .

(د. شـــكرى محمد عياد — ملاحظات نحو تعريف الثقافة — تأليف ت.س اليوت — وزارة الثقافة والارشاد القومى — المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر — مطبعة مصر صـــفحة ٢٣) ويشرح القـــاموس الفرنسى لاروس Larousse

كلمة ثقافة Culture بأنها مجموع المعارف المكتسبة من تعلم ومعرفة.
ويرى الدكتور عبد الحميد يونس أن الثقافة هى المجال الاجتماعى لجميع الأفراد فى قومية من القوميات أو فى وطن من الأوطـــان . (عبد الحميد يونس — فن الاذاعة — اثر الاذاعة فى المجتمع — مركز التربيـــة الأساسية فى العالم العربى بسرس الليـــان ج. ع. م. دار المعارف ١٩٥٨ صفحة ١١) ويرى محمود أمين العالم أن الثقافة كتعبير فكرى او أدبى أو فنى أو كطريقة خاصـــة للحياة انما هى فى الحقيقة انعكاس للعمل الاجتماعى الذى يبذله شعب من الشعوب بكافة فئاته وطوائفه ومظهر لـــا يتضمنه هـــذا العمل الاجتماعى من علاقات متشابكة ، وجهود مبذولة ، واتجاهات ، فالأساس الذى تقوم عليه الثقافة اذن ليس شيئا جامدا أو عقيدة محددة وانما هى عملية لهـــا عناصرها واتجاهها المتطور .

(محمود أمين العالم وعبد العظيم أنيس — فى الثقافة المصرية — دار الفكر الجديد — ١٩٥٥ — صفحة ١٨) .

الفصل الرابع

الصحيفة والاعلام الدولى

من المشكلات الأولى التى تواجه رجل الاعلام — وهـو يتجه برسالته الاعلامية الى العالم الخارجى — مشكلة الحدود الجغرافية ، لذا تطالعنا كثيرا عناوين مثل « تليفزيون بغير حـدود جغرافية » أو « مدرسة على الهواء » بغير حدود اقليمية أو ما شابه ذلك من العناوين التى تؤكد تفوق الصحافة المرئية والمسموعة بوجه خاص على الصحافة المكتوبة فى اجتياز الحدود والسعى فى الآفاق •

ويتجه فكر رجل الاعـلام حينما يخاطب جمـاهير خارج وطنه أو يسعى الى التأثير فى الرأى العام الدولى الى الاذاعة كوسيلة أولى ، ثم الى غيرها من وسائل الاعلام الدولى بدءا من النشرة التى توزعها السفارات ومراكز الاعلام الخارجى الى جهـود مؤسسات العلاقات العـامة ذات النشاط الدولى •

ويمكن القول بأن أهمية الاعلام الدولى تتزايد يوما بعـد يوم فى عالمنا المعاصر الذى يتجه الى العالمية ، والى ازدياد تأثير الاعـلام الدولى فى المجتمعات المحلية • ونلاحظ ذلك فى توصيات معظم مؤتمرات الاعلام التى توصى بدعم أجهزة الاعلام الخارجى بما يجعلها قادرة على المتابعة واللحاق بالعالم المسرع الخطى • والتى توصى بايجـاد قنوات دائمة ومستمرة مع جمعيات الصداقة فى أنحاء العالم بما يخدم سياسة الدولة عن طريق الاعـلام الخـارجى والاهتمـام بالمغتربين والدارسين باعتبارهم سفراء بلادهم وتوثيق الصـلات بهم • ولكن النظرة التقليدية لوسـائل الاعلام الدولى تبعـد عن أنظار مثل تلك المؤتمرات المتخصصة دور الصحيفة وليس أدل على ذلك من امعان النظر

فى تلك التوصية الصادرة من مؤتمر عربى للثقافة والاعلام فى مارس ١٩٧٨ والتى تقول « يوصى المؤتمر بالتوسع فى سياسة التبادل فى مجال الانتاج التليفزيونى مع مختلف دول العالم لما لذلك من أثر فعال على تعريف شعوب العالم بالشعب والعكس ، وتوثيق الصداقة بين الشعوب ويوصى المؤتمر باستخدام الأقمار الصناعية فى ربط المشاهد بالأحداث العالمية وفى نقل الأحداث الهامة من والى العالم » •

ان النظر الى الاذاعة كوسيلة أولى فى مجال الاعلام الدولى ، أو حتى قصر النظر على الوسائل التقليدية من وسائل الاعلام الدولى ، لم يعد كافيا فى هذا العصر ، ولعل السينما أقرب مثل لدور وسائل اعلامية نألفها ونعايشها ولا نقدر أثرها الدولى الخطير ، وعلى المستوى العربى فان أسبوع الفيلم العربى الذى عرض فى باريس فى ٢٧ مارس ١٩٧٧ أكد أن السينما لها دور فى الاعلام الدولى • ان هذا الأسبوع الذى قدم أكثر من مائة فيلم روائى وقصير وريبورتاجات سينمائية شد أنظار رجل الشارع الفرنسى ، وجعل الصحافة تتحدث عن العرب بغير ماتعودته • وأبرزت السينما العربية — للمشاهد الفرنسى — أشياء عند العرب غير ركوب الجمال أو رعى الشاة أو ليالى ألف ليلة وليلة • وأدرك المشاهد العادى أن هناك أشياء جديدة وقضايا اجتماعية يعيشها العرب تمثل الجديد المتوثب للتقدم وصراعه مع القديم المتخلف •

والمسرح كوسيلة اعلام يؤدى دورا فى الاعلام الدولى قد لا يبدو من النظرة العجلى واضحا • ان تعبير أحد أساتذة المسرح الأوربيين [١] بأن تأثير المسرح مستحيل حصره فى مكانه وزمانه تعبير صحيح ، ويفسر الأستاذ الأوربى فكرته تفسيرا منطقيا حيث يرى أن الأدب المسرحى أبعد بكثير من أن يكون مسألة تخص شعبا من الشعوب فكل شعب يريد من خلال مسرحياته أن يكون له صوت فى الساحة العالمية فى صورة كلمة تلقى فى اجتماع مائدة مستديرة • وليس ذلك — على حد رأى

---

(١) ميلكوش هابى : استاذ بجامعة فلورنسا وكاتب مسرحى ، انظر جريدة الأخبار ١٩٧٧/٤/٢٨ •

الأســتاذ — مجرد نتيجــة لمطامع شخصية للمؤلف دائمــا لأن الفن المسرحى يحمل فى جوهر تكوينه تلك الرغبة فى التوسع وذلك التلهف على آداء رسالته التى تشمل بصورة مباشرة البشرية بأسرها • ومن هنــا تنبع خصــائص الأعمــال المسرحية وهى استحالة حصر تأثيرها فى المكان والزمان •

الصــحيفة :

وبرغم الأهمية الخاصة لمختلف وسائل الاعلام الدولى المتخصصة فان الحقائق تؤكد أن الصحافة المكتوبة — وعلى وجه التحديد الجرائد والمجلات — ما زالت تحتفظ بمكانتها المرموقة بين مختلف وســائل الاعلام فى المجال الخارجى ، وانهــا لم تفقد سحرها القديم بسبب المخترعات الحديثــة • بل انهـــا أفادت من التكنولوجيا المستخدمة فى وسائل الاعلام ليبرز دورها بروزا جــديدا فى الاعلام الدولى • سيقتصر حديثنا اذن على الجرائد والمجلات كوسيلة اعلام فى المجال الدولى • والسؤال الذى يفرض نفسه فى هــذا المقام هو : ما الملامح الخاصة بالتحرير والاعلان والتوزيع التى تتلاءم مع دور الجــريدة والمجلة كوسيلة اعلام دولى ؟ ثم ماذا يمكن أن نخلص اليه من امكان انشاء مؤسسة عربية تخاطب الرأى العام العالمى ويصبح لها جريدة أو أكثر أو مجلة أو أكثر ذات طابع دولى وثقل دولى ، تقدم للرأى العام الدولى صورة حقيقية للانسان العربى متطورة ومعاصرة ؟

الملامح الخاصــة :

عندما نبدأ الحديث عن الملامح الخاصة بالتحرير فاننا نقف أمام سبيلين : هما الطبعة الخاصة بالتوزيع الخارجى ثم الصحيفة الخاصة بالاعلام الدولى التى تصدر خارج الحدود وكلا السبيلين يحمل نفس السمات وان اختلفا فى الشكل •

ان أول ما ينبغى أن نذكره فى الحديث عن الملامح الخاصة بالتحرير لصحيفة تسعى لمخاطبة القــارىء الدولى هــو التركيز على القضايا

الدولية ولكن من وجهة نظـر تتلاءم مع سياســة الصحيفة لا عقلية المخاطب فى نفس الوقت • ان القارىء الدولى يمثل المستوى المرتفع ثقافيا حتى داخل مجتمعه المتقدم ، والخيط الرفيع الذى يحترس منه المحرر دائما فى مثل هذه الصحيفة هو ألا تكون موضوعاته من أخبـار وأحاديث وتحقيقات ومقال وريبورتاجات بغير طعم ولا لون ولا رائحة ، وفى نفس الوقت ألا يقدم بضاعته التحريرية كأنها اعلانات عن وطنه وآثاره وما شابه ذلك ، أو دعاية سافرة لسياسة بلده • والخيط الذى يفصل بين مثل تلك المـادة الرديئة وبين المـادة ذات الملامح والشخصية المستقلة ، ووجهة النظر الجديدة خيط رفيع • لذلك ينبغى أن تعالج الصحيفة موضوعات تجـذب القارىء الدولى ، وتجتهـد فى أن تلج فى دائرة اهتمامه •

ان الصحف التى تصدر باللغة العربية مثل « المختار » فانها تبرز بصـورة أو بأخرى ملامح التحـرير الدولى ، أو بمعنى أكثر دقـة الموضوعات التى يمكن معالجتها تحريريا لتخاطب مجتمعـا أوسع من الدائرة المحلية أو القومية •

أما الاعلان فى صحيفة لها طابع دولى فهو أمر عسير من جانب وذو فرصة واسعة من جانب آخر ، ويتضح العسر فى جلب الاعلانات لمثل هذه الصحيفة اذ لابد من انشاء جهاز غير تقليدى لجلب الاعلانات من دول وشركات متعددة ، أو الاعتماد على وكالات الاعلانات الكبرى ذات الرصيد الضخم من الكفاءة والفاعلية والخبرة فى هـذا المجال • ومما لا شك فيه أن هناك عددا وفيرا من السـلع ذات طابع دولى ، وعددا وفيرا من الشركات المتعددة الجنسيات ومجالات الاستثمار •• ومن هنا تبرز الفرص الواسعة أمام الصحف الدولية فى الفوز باعلانات من نوع خـاص •

أما عن التوزيع الدولى للصحيفة فلابد أن ندرك من البداية أن نفقات هـذا التوزيع مرتفعة اذا قيست بالتوزيع المحلى أو الوطنى • ومن ثم يرتفع ثمن النسخة المباعة فى الخارج وهو فى رأيى اجراء يجب

أن يؤخذ بحذر شديد ، لأن ارتفاع ثمن النسخة يفقـدها الكثير من القـراء الذين قد لا يقبلون على شراء مثل هـذه الصحف الأجنبية زيادة على صحفهم التى تعودوا على قراءتها • وارتفاع نفقات التوزيع الخارجى ينبغى أن يعالج بزيادة حصيلة الاعلانات الخارجية وليس برفع ثمن النسخة المباعة فى الخارج •

وما يقال عن التوزيع يقال عن الاشتراكات التى ينبغى أن تكون مشجعة لاقبـال القراء عليهـا بسبب صعوبة الحصول على الصحيفة الأجنبية فى سوق محلى يحفل بالصحف المحلية والوطنية والعالمية •

وتمثل صحيفة الأنترناشيونال هيرالد تربيـون اليومية الأمريكية التى تصدر باللغـة الانجليزية فى باريس وفى لندن وفى نيس فى وقت واحد نموذجا فى التوزيع لصحيفة دولية • اننا بالقـاء نظـرة على احصائيات الطبع والتوزيع لصحيفة الأنترناشيونال هيرالد تربيـون فى عام ١٩٧٥ نجد أن جملة المطبوع ١٤٧ر٢٨١ نسخة وجملة المبـاع ١١٠ر٠٤٤ نسخة • وسـوف نرى أنه لا يمكن تطبيق قاعدة بيع بغير مرتجعات أو تطبيق قاعدة عدم زيادة نسبة المرتجع عن ١٠٪ أو ١٥٪ من المطبوع — لـماذا ؟ لأن السوق أوسع من أن يدرس دراسـة مماثلة للسـوق المحلى •

أما جغرافيـة التوزيع للانترناشيونال هـيرالد تربيـون وفق احصائيات عام ١٩٧٥ فهى على النحو التالى :

المنطقة او البلد	النسخ	النسبة المئوية
١ — السوق المشتركة	٥٩ر٨٤٠	٥٤ر٤٪
فرنسا	٢٠ر٠٢١	١٨ر٢٪
المـانيـا	١٣ر١٩٨	١٢ ٪
المملكة المتحدة	١١ر٧٧٢	١٠ر٧٪
ايطاليا	٣٦٣٠	٣ر٣ ٪
بلجيكا ولكسمبورج	٦١٦١	٥ر٦ ٪

النرويج	٣٧٣٩	٤ر٣ ٪
الدنمــــارك	١١٠١	١ ٪
ايرلندا	٢١٨	٢٠ر ٪
٢ — بلدان أوربية أخرى	١٩ر٩١٤	١ر١٨٪
سويسرا	٨٩١٢	١ر٨ ٪
أسبانيا	٤٧٣٠	٣ر٤ ٪
اليونان	١٥٣٨	٤ر١ ٪
النمســـا	١٤٣٠	٣ر١ ٪
الســـويد	١١٠٢	١ ٪
النرويج	١١٠٠	١ ٪
البرتغـــال	٨٨٠	٨٠ر ٪
فنـــلندة	٢٢٢	٢٠ر ٪
٣ — أوربا الشرقية	٢٩٦٧	٧ر٢ ٪
٤ — شركات الطيران	١٣ر٦٤٣	٤ر١٢٪
اجمالى أوربا	٩٦ر٣٦٤	٦ر٨٧٪
٥ — شمال افريقيا والشرق الأوسط	٦١٩٠	٩ر٥ ٪
٦ — مناطق أخرى من العالم	١٧٥١	٥ر٦ ٪
الاجمالى الكلى	١١٠ر٠٠٤	١٠٠ ٪

أما عن تفاصيل التوزيع فى منطقـــة الشرق الأوسط فانهـــا على النحـــو التالى :

الجزائر	٨٠	البحرين	٢٥٠
مصــــر	٤٠٠	ايران	١١٠٠١
اسرائيل	١٨٠٠	الأردن	٦٠
الكويت	٢٥٠	لبنـــان	١١١٠
ليبيــا	٥٠٠	المغــرب	٤٥٠
قطــــر	٣٥	السعودية	١٢٠٠
السودان	٣٠	ســـوريا	٤٠
تونس	١٢٥	تركيـــا	٥٠٠
الامارات العربية	٥٠٠		

وبتحليل احصائيات التوزيع هذه نرى أنها من حيث الكم لا تمثل قدرا مهما فى سوق الشرق الأوسط بصفة خاصة ولكن أهميتها ترجع الى التأثير فى الصفوة التى قرأتها بصفة منتظمة فى الأغلب والأعم • وهـــذه

الأمثلة فى التحــرير والاعلان والتوزيع تقودنا الى المزايا الخاصــة بالصحيفة كوسيلة للاعلام الدولى •

اهــم المزايا :

لا يمكن حصر المزايا التى تحققها الصحيفة كوسيلة للاعلام الدولى ولنضرب مثلين مختلفين لأهم تلك المزايا •

اولا : اذا كانت جهــود وزارات الخارجية اعلاميا تتركز عادة فى الاتصــال بقادة الرأى وزعماء الجمــاعات المؤثرة فان الصــحيفة تستطيع أن تخاطب جمهورا أوسع وبطريقة مباشرة وأن تقوم بما يشبه دور الدبلوماسية الشعبية فى العصر الحديث •

ثانيا : انه بالنسبة لشعوب كثيرة من البلدان النامية لها جاليات كبيرة خارج أوطانهــا ولها عمال وعلماء وفنيون مهاجرون فى الخارج تصبح الصحيفة التى تصدر من أوطانهم لمخاطبة الرأى العام العالمى زادا دائما لتفهم سياسة بلدانهم بما يتناسب مع ظروف حياتهم فى تلك المجتمعات الغربية • واذا تحدثنا عن الواقع العــربى نرى أن هجرة أبناء المغــرب العــربى فى فرنسا مثلا تمثل جالية عربية كبيرة يمكن الاستفادة بوجودها البشرى ماديا ومعنويا ويمكن أن تكون الى جانب الوجود العربى العام فى أوربا سندا لصحيفة عربية دولية تختلف عن الصحف العربية المهــاجرة فى لندن وباريس ، والتى ما زالت تعكس فى حقيقة الأمر وجهات نظر محلية • والفرق بين ادعاء العالمية فى التحرير وتطبيق العالمية فارق لا يحتاج الى بحث أو برهان ، لأن القارىء العادى يمكنه أن يفرق بسهولة بين صحيفة دولية التحرير وبين صحيفة مهاجرة تعكس وجهة نظر محلية فى أغلب صفحاتها •

العرب وصحيفة دولية :

هل يستطيع العرب اصدار صحيفة أو مؤسسة تصدر عدة صحف تتخصص فى مخاطبة الرأى العام العالمى غير نشرات وزارات الاعلام

والخارجية ، وان اتخذت شكل المجلة ، وأنفق عليها الكثير من ألوان الترف فى الطباعة والتغليف ؟

اننى أعتقد أن العرب كحكومات لا يمكن لهـا حاليا اصدار مثل هـذه الصحيفة لمـا بينهـا من احتكاكات وخلافات • ولكن العـرب كمؤسسات صحفية ومثقفين يمكنهم بقليل من الشجاعة والاقـدام أن يصدروا مثل هذه الصحيفة ويمكنهم أيضا اقناع بعض الأثرياء العرب بالتمـويل •

وقـد يطرح البعض سـؤالا جوهريا ـ كيف يمكن لمثل هـذه الصحيفة أن تعبر عن سياسات متناقضـة هى سياسات العرب وعن اتجاهات متناقضة مشفوعة بعصبية تصل الى حد الاغتيال والتخريب والاحتكاكات العسكرية ؟

ان مثل هـذه الصحيفة لأنها ستخاطب الرأى العـام العالمى يمكن لمجلس ادارة لها من العقلاء أن يجد من الأسباب المشتركة ومن الموضوعات البعيدة عن الحساسيات طريقا لمخاطبة القارىء الدولى •

لقـد كان يتردد فى تاريخنا الثقافى بين الحين والآخر موضوع الأدب العربى بين المحلية والعالمية •• وها نحن الآن نطرح فكرة صحيفة عربية أمام فرصة الآفاق الدولية ويوم يتحقق ذلك قـد تصبح الأولى أمام أوسع أبواب حلها • ان هـذا المثل خيط من عدة خيوط ، ولكنه خيط يشدنا الى واقع لا يمكن اغفاله ، وهو أن وحدة الثقافة العربية هى أقوى عناصر وحدة هذ الأمة وهنا يكمن السحر الذى يمكن تحويله الى واقع وحقيقة •

الفصل الخامس

كيف نفسر الرأى العام ؟

برز مصطلح الرأى العام مع بروز التجمعات السكانية والتجمعات العمالية أو ما يمكن تسميته بالجماهير الغفيرة ٠

وقسم جيمس برايس (١٨٣٨ ــ ١٩٢٣ م) مراحل الرأى العام من حالته اللاواعية والسلبية الى حالته الواعية والايجابيـــة الى أربع مراحل هى مرحلة خضوع الرأى العام لارادة الحاكم ، فمرحلة نشوء نزاع تتم تسويته باستخدام القــوة ، ثم مرحـــلة تسوية المنازعات بالالتجاء الى سيادة الغالبية عن طريق الانتخابات ٠ وأخـــيرا مرحلة التوصل ــ اذا أمكن ــ الى تنظيم جديد من شأنه تقرير ارادة الشعب فى كل وقت ٠

وقـــد اختلف أساتذة الصحافة حول تعريف الرأى العام وتشعبت تعريفاته لدى علماء النفس والاجتماع والسياسة وذهب الدكتور أحمد سويلم العمرى الى القول بأن من الصعوبة تعريف الرأى العام تعريفا محكما دقيقا ، غير أنه يمكن تقريبه الى الذهن اذا اعتبرنا الرأى العام ظاهرة فكرية ناجمة عن الحشد الذهنى للجماعة التى ترتب عليها أقوى العلاقات الاجتماعية والنفسية للفرد ثم الجماعة ، وهى حركة اجتماعية تتأثر بما يأتى من الفرد فى اطار الجماعة ، وفى هـــذه الجماعة التى تلتئم فى كنف الرأى العام نجد فكرة معينة قـــد اختمرت فى نفوسهم كجماعة تتأثر بمؤثرات خارجية وعوامل ثقافية واقتصـــادية وتربوية وتتأثر ــ أيضا ــ بحياة الجماعة وموقف الفرد منها ومن هنا فان الرأى العام يتكون بوحداته ثم بجماعته وهو ديناميكى دائم الحركة والتبدل والتطـــور ٠

ومن خلال هــذا التصور فان الدكتور العمرى يعرف الرأى العام بأنه مجموع آراء الناس ووجهة نظرهم فى الحياة العامة • وفى اصرار الدولة وسعيها لاســعاد النــاس • وفى وجوب أن تعمــل الدولة أو الجماعات القومية أو الدولية فى علاج شتى المســائل والمشكلات التى يقاسى منها الفرد والجماعة ، ويعرف ماكينون الرأى العام بأنه تلك العاطفة ــ ازاء ــ موضوع معين ــ التى يرحب بها أكثر أعضاء الجماعة اطلاعا وزكاء وتمسكا بالأخلاق هــذه العاطفة التى لا تلبث أن تنتشر ويعتنقها ــ تدريجيا ــ معظم الأشــخاص الذين تتكون منهم جماعة متعلمة ذات مشاعر سوية فى دولة متحضرة ، ويقول س• هكوولى : اذا شئنا أن ننظر الى الرأى العام ــ من حيث حقيقته ــ يجب أن نعتبره عملية حضرية لا مجــرد حالة اتفاق حيال مسألة من مســائل وقتنا الراهن ، واذا استعرضنا أهم التعريفات الأخرى وجدناها تدور حول المحور الذى دارت عليه التعريفات السابقة •

فنرى فلويد ه• البورت يعرف الرأى العام بأنه تعبير صدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه فى مسألة أو اقتراح واسع النطاق بحيث يمكن استدعاؤهم لهذا التعبير سواء كانوا مؤيدين أو معارضين • وتكون نسبتهم العددية كافية لاحداث تأثير ما بطريق مباشر أو غير مباشر • ويعرفه كلاريد كنج بأنه الحكم الذى تصــل اليه الجمــاعة فى مسألة ذات بال • وذلك بعد مناقشات علنية ومستوفاة • أما اليج فيعرفه بأنه ثمرة تفــاعل الأفكار فى أى وضــع من أوضاع الجماعة التى تصــدر عنها هــذه الأفكار • ويضع الدكتور مختار التهــامى تعريفا للرأى العام بأنه الرأى الســائد بين أغلبية الشعب الواعية فى الفترة المعينــة لقضية أو أكثر يحتدم فيها النقاش والجــدل وتمس مصالح الأغلبية أو قيمها الانسانية مسا مباشرا •

والدكتور محمد عبد القادر حاتم بعد استعراضه عــدة تعريفات حول الرأى العام انتهى الى وضع عــدة قواعد عامة تحكم التعريف

الأقرب الى الدقة والشمول • من هـذه القواعد أن الرأى العـام هو الموقف الاختيارى • وان الجماعة أقل من الجمهور ، وانها لا تشكل رأيا عاما جماهيريا • ويشترط لقيام الرأى العام الشعبى أن تكون كل الجماعات منطـوية داخل الجمهور الواحد والا كان هنـاك أكثر من جمهور • وبالتالى كان هناك أكثر من رأى عام داخل الشعب الواحد ، وان الآراء التى تعرضها التنظيمات والهيئات ذات السلطة على الأفراد قهرا لا تشكل رأيا عاما مهما كانت درجة الاتفاق فى الآراء ، لأن هـذا الاتفاق املاء ، وليس هناك ما يمكن تسميته — عاميا — رأيا عاما ثابتا دائما • لأنه يشترط لقيامه أن يكون ناتجا عن حركة ديناميكية والا تحول الى عقيدة أو قيمـة أو عادة •• ان الرأى سلوك فى حصيلته معرفة الفرد • وهو لا يفرض فرضـا • بل يشترط لقيامه أن يكون ظاهرا واضـحا •

ويذهب الدكتور عبد اللطيف حمزة الى أن الرأى العـام هـو الاتجاه الذى تتخذه الجماعة فى مسألة بعينها بعد بحث هـذه المسألة من جميع وجوهها بحثا علنيا بطرق الصحافة أو الاذاعة أو غيرهما من وسائل الاعلام • وهو بذلك ليس نتيجة اندفاع عاطفى وليس بالضرورة انسياقا وراء العادات والتقاليد • وانما هو نتيجة تفكير سليم فى المصلحة التى تعود على المجموع • وأن التعبير عن الرأى العام والسخط العام والاتجاه العام لا يكون الا فى جـو من الحرية التامة ويفرق الدكتور حمزة بين الرأى العام والسخط العام والاتجاه العام •

فالرأى العام هو ما يصل اليه المجتمع الواعى بعد تقليب وجهات النظر المختلفة والآراء المعارضة والسخط العام هـو ما تصـل اليه الجماهير بمجرد الاثارة والانفعال برجل واحد أو فكرة واحدة أو زاوية واحـدة لا تكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر الأخرى أن تظهر الى

جانبها والاتجاه العام ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شيء معين ترى فيه صيانة تقاليدها أو الدفاع عن دينها أو المحافظة على تراثها •

كما اختلف الدارسون حـول تحديد مفهوم الرأى العام فانهم اختلفوا — أيضا — حـول أنواعه : فمنهم من ذهب الى تقسيمه الى ثلاثة أنواع :

(أ) الرأى العام المستنير : وهو رأى الطبقة المثقفة فى الأمة •

(ب) الرأى العـام المسيطر : وهـو رأى القـادة والزعمـاء والحكومات •

(جـ) الرأى العام المنقاد : وهو رأى متابعة السـواد الأعظم من الشعب الذى لا يستطيع متابعة البحث أو الدرس •

ومن الباحثين من يقسم الرأى العام الى :

١ — الرأى العـام الكلى : وهـو ما يتصل بالدين والأخـلاق والعادات والتقاليد • وهو يمتاز بالثبات والرسوخ ويشترك فيه السواد الأعظم من الناس •

٢ — الرأى العـام المؤقت : وهو ما تمثله الأحـزاب السياسية والهيئات العـامة والخاصة وذلك عندما تسعى الى تحقيق هدف معين فى وقت معين •

٣ — الرأى العام اليومى وهو النوع المتقلب الذى تعتمد عليه الصحف اليومية •

ومن الباحثين من يقسم الرأى العام الى أربعة أقسام :

الأول : رأى الأغلبية أو الأقلية وهو رأى الجماعة حين تنقسم الى قسمين •

الثانى : رأى الأقليات مجتمعة وهو رأى الأقليات الكثيرة حين تتفق أحيانا على رأى معين فى ظروف معينة ولهدف معين •

الثالث : الرأى الساحق وكثيرا ما يكون نتيجة لاندفاع الشعب أو نتيجة لتكاسله فى بحث المشكلات العامة ولكن الشعب اذا وصـل الى الرأى الساحق عن طريق البحث أو الدرس فانه يكون فى مثل هذه الحالة قـد بلغ الذروة من الاستنارة والوعى ولكنه فى الواقع قلمـا يصـل الى ذلك •

الرابع : الرأى العام الجامع وهو ما تجمع عليه الأمة ، ولا يكون ذلك فى الأعم الا فى الأمـور التى ترتكز على ماضى الأمة وعاداتهـا ومعتقداتها • وهو ما سبق تسميته بالاتجاه العام •

وخلاصة القول أن الرأى العام يرتبط ارتباطا عضويا بالديمقراطية فبقدر ما يتاح من ديمقراطية فى مجتمع من المجتمعات بقدر ما تصـدق التعريفات العلمية والمقاييس الدقيقـة لقياس الرأى العام ومعرفته وسبر غوره • واذا كانت كافة التعريفات والتقسيمات السابقة للرأى العـام تشرح بطريقة أكاديمية وتحليلية مصطلح الرأى العام وأقسامه فان النظرة الشمولية لمعنى الديمقراطية توجب علينا النظر فى مفهوم الديمقراطية المعاصر وارتباط ذلك بالرأى العام •

أن تجارب الديمقراطية المعاصرة واضحة فى نظامين بارزين وهناك نظام ثالث فيه ضبابية وتأرجح • ولكنه يختلف عن النظامين البارزين • أما النظام الأول فهو الديمقراطية الليبرالية أو الديمقراطية الرأسمالية التى نراها بطريقة حيـة فى أوربا الغربية • أما النظام الثانى فهـو الديمقراطية الاجتماعية وتقوم أساسا على فكرة تحرير رغيف الخبز من سيطرة الرأسمالية • لتتحرر تذكرة الانتخاب • وهـذا النظام تلقاه فى البلدان الشيوعية ولكن بطرق متفاوتة ودرجات مختلفة •

وأهم ما يوجه من نقـد للنظـام الليبرالى المعاصر أنه لم يعد ليبراليا ، وانما أصبحت الاحتكارات هى التى تشكل جوهر النظـام ونسيجه • أما أهم ما يوجه من نقد الى النظام الشيوعى فهو أنه قدم رغيف الخبز وكمم الأفواه بنسب ودرجات مختلفة •

أما النظام الثالث وهو خليط من النظامين السابقين • فهو ثمرة التجارب المريرة لبلدان العالم الثالث فى البحث عن طريق ديمقراطى جديد بين ظروف دولية ومحلية بالغة التعقيد •

أين يقف مصطلح الرأى العام من كل هـذه النظم والتجارب ؟

الواقع أن الرأى العام لا يبدو مطابقا للتعاريف والتقسيمات التى يسوقها الأكاديميون لأن الصدق لا يبدو فى المجتمع واضحا فى بعض الأحيان • ولأن وسائل الاعلام بما تقدمه من معلومات يتوقف عليهـا تكوين الرأى العام ومن ثم تصنيفه وأنواعه • لذلك ينبغى أن ننظر الى الرأى العام دائما فى اطار المجتمع الذى يعكس هـذا الرأى العام نظامه وحياته ومستوى الديمقراطية فيه • واذا ضربنا بمصر الحديثة مثلا فى مسيرة الرأى العام وكيف يتشكل وما هى العوامل المؤثرة فيه والمتأثرة به نجد ما يلى :

جذور الرأى العام فى مصر الحديثة :

تمتد جـذور الرأى العـام فى مصر الحديثة الى حملة نابليون بونابرت ، وما واكبهـا من اطلاع الرأى العام المصرى على العلوم الحديثة التى صحبت الحملة ، فان هـذه اللمحات العلمية والحضارية التى جاءت مع الحملة كانت زادا للوجدان المصرى وأفقا جديدا شـد خياله وفكره •

وتقييم دور الحملة الفرنسية فى اليقظة الفكرية المصرية يصطدم برأيين مختلفين : يذهب أحدهما الى أن هـذه الحملة كانت الناقوس الذى أيقظ المصريين من رقادهم بما صحبته الحملة من علماء ، ومطبعة • وبما أجرته من تجارب ، وباشراكها علماء الأزهر فى الديوان وغير ذلك مما كان مجالا لاحتكاك العقلية المصرية الشرقية بالفكر الغربى • ورأى آخـر يقول بأن مدة الحملة — وهى ثلاث سنوات — لا تستطيع أن تؤثر هـذا التأثير وأن كل ما صحب الحملة ، وكل ما صنعه الفرنسيون

لم يكن من أجل المصريين •• وأنهم حملوا تجاربهم ومطبعتهم وعلماءهم معهم عند رحيلهم •

والواقع أنه يمكن المزاوجة بين الرأيين ، فالحملة الفرنسية وما صحبها من زاد حضارى وان لم تكن من أجل المصريين ، فانها فتحت الأذهان نحو حياة جديدة شغلت الرأى العام • ثم كان للجهود المصرية التى بذلت بعد الحملة فضل تثبيت هذه البذرة ، وفضل امدادها بالنماء لتستوى على عودها •

وعلى أية حال فان أهم الدوافع التى كانت سببا فى ظهور الرأى العام وتطوره يمكن أن نرجعها الى ما يلى :

١ ــ استبداد الحكام وفسادهم ، ولعل من المظاهر الصارخة لهذا الفساد السخرة والرشوة والضرائب الباهظة •

٢ ــ انتشار الثقافة والتعليم ، بانشاء المطبعة الأميرية عام ١٨٢٢، وصدور جريدة الوقائع المصرية عام ١٨٢٨ • وانشاء عدد من المدارس ، وارسال عدد من البعثات الى أوربا ثم نشاط الحركة الفكرية بظهور جمال الدين الأفغانى والامام محمد عبده وتلاميذهما • وكان نتيجة لذلك تكوين تجمعات شعبية تبحث عن طريق للاصلاح مثل تلك الجمعية التى تكونت فى الاسكندرية والتى دعت فى عام ١٨٧٩ الى انشاء بنك قومى لانقاذ البلاد من الاستبداد الأجنبى ، وتأليف هيئة شعبية باسم الجمعية الوطنية عام ١٨٧٨ وانشاء الجمعية الخيرية الاسلامية بمدينة الاسكندرية عام ١٨٧٨ أيضا بفضل جهود عبد الله النديم وأصدقائه • وجمعية المقاصد الاسلامية فى القاهرة وكان الامام محمد عبده من أعضائها •

٣ ــ ظهور الصحافة الشعبية وهى التى حملت على عاتقها تغذية الرأى العام والتفاعل معه والتأثير فيه والتأثر به • وقد كان دور الصحافة الشعبية الوطنية فى ذلك الوقت أقرب ما يكون الى العمل

السياسى الذى يهدف الى توجيه حركة الجماهير التلقائية تجاه القضايا الوطنية الى حركة منظمة لخدمة الأحـداث الوطنية • أما الحركات الرسمية التى كانت استجابة للرأى العام فأولها : انشاء مجلس شورى النواب ، ثم محاولات الاصـلاح فى الادارة والقضـاء خصـوصا فى حكومة نوبار ، كذلك صـدور دستور ١٨٨٢ وهـو الدستور الذى تمخضت عنه الثورة العرابية التى تعتبر فى حـد ذاتها أعنف صورة للرأى العام وآخر مرحلة من مراحل القوة التى وصل اليها فى القرن التاسع عشر •

٤ ــ التدخل الأجنبى فى مصر ، وقـد كان من آثاره ظهور المحاكم المختلطـة والامتيازات الأجنبية • وصندوق الدين والمراقبة الثنائيـة والوزارة الأوربية . وما الى ذلك من الأحـداث التى أثارت شعور المصريين ودفعتهم الى الثورة العرابية •

٥ ــ ظهور الطبقة البرجوازية المصرية واتساع قاعدتها ، وتحملها النصيب الأكبر من المسئولية فى النضال الوطنى •

هـذه بصفة عامة جـذور الرأى العام المصرى •• الذى بدت يقظته مفاجئة •

آثار اليقظة المفاجئة :

لقد كانت يقظة الرأى العـام المصرى يقظة مفاجئة •• وبدأت اليقظة بأزمة •• لقد كان المجتمع المصرى أشبه بمريض قضى زمنـا فى غرفة مغلقة واشتدت الحرارة داخل الغرفة المغلقة حتى كادت أنفاس المريض أن تختنق•وفجأة هبت عاصفة حطمت النوافذ والأبواب وتدفقت تيارات الهواء الباردة تلسع جسد المريض الذى ما زال يتصبب عرقا • لقـد كان فى حاجة الى نسمة هواء •• فانطلق عليه أعصار فانشبت الحمى أظفارها فى الجسد المنهوك القوى •

هـذا ما حدث لمجتمعنا تماما ، وكانت تجربة محفوفة بالمخاطر بينما كان المجتمع الأوربى قـد سار فى تطوره بنظام اجتاز الجسر بين عصر النهضة وبين أعقاب القرون الوسطى الى القـرن التاسع عشر خطوة خطوة وتلاحقت مراحل التطور واحدة اثر الأخرى • أما نحن فقد كان كل شىء مفاجئا لنـا • كنا نعيش داخل ستار من الفولاذ فانهار فجأة ، كنا قـد انقطعنا عن العالم واعتزلنا أحـواله خصوصا بعد تحول التجارة من الشرق الى طريق رأس الرجاء الصالح فاذا نحن مطمع دول أوربا ومعبر الى مستعمراتها فى الشرق والجنوب هبت علينا تيارات من الأفكار والآراء فلم تكن المرحلة التى وصلنا اليها فى تطورنا تؤهلنا لقبولها ، كانت أرواحنا ما زالت تعيش فى آثار القرن الثالث عشر وان سرت فى نواحيها المختلفة مظاهر القرن التاسع عشر ثم القـرن العشرين • وكانت عقولنا تحاول أن تلحق بقافلة البشرية المتقدمة التى تخلفنا عنها خمسة قرون أو يزيد •• وكان الشوط مضنيا والسـباق مسعورا ومخيفا •

ويرجع كتاب فلسفة الثورة عدم وجود رأى عام قوى متحد فى مصر قبل الثورة الى هذا الحال ، لأن الفارق بين الفرد والفرد كبـير بين الجيل والجيل شاسع • ويرى الرئيس الراحل أن شـعبنا صنع معجزة فقد كان من الممكن أن تجرفه التيارات التى تدفقت عليه ، ولكنه صـمد للزلزال ، ويقـول : « صحيح أننا كدنا نفقد توازننا فى بعض الظروف ولكننا بصفة عامة لم نقع على الأرض • ويضرب مثلا بأسرة مصرية عادية من آلاف الأسر التى تعيش فى القـاهرة (قبل ثورة ١٩٥٢) الأب فلاح من صميم الريف والأم سيدة منحدرة من أصـل تركى وأبنـاء الأسرة فى مدارس على النظام الانجليزى وفتياتها فى مدارس على النظام الفرنسى — كل هذا بين روح القرن الثالث عشر ومظاهر القرن العشرين » •

سلسلة الأحداث وأثرها فى تطور الرأى العام :

ان العلاقة الجدلية بين التاريخ وتطور الرأى العام تؤكد التأثير المتبادل بينهما • وكما اختلفت الآراء حول تقييم دور الحملة الفرنسية، فان أختلافها حول عصر محمد على وأثره أكثر فى الرأى العام المصرى•

ان النهضة الاقتصادية والادارية التى دخلت مصر فى عهد محمد على أسهمت فى البناء الاقتصادى كثيرا ، ولكنها لم تسهم بنفس القدر فى البناء المعنوى للانسان المصرى • ويمكن القول بأن كل الانشاءات التى أقامها محمد على لم يكن لها تأثير كبير على الحياة الثقافية بما فى ذلك المدارس التى افتتحها • فقد كانت مهمتها تخريج موظفين للدواوين الجديدة • وكانت مناهجها عملية لدرجة لم تستطع معها أن تقدم شيئا للحياة الثقافية وقـد أنشأ محمد على المطبعة الأميرية عام ١٨٢٢ ، وقدمت ٢٤٣ كتابا فى العشرين سنة الأولى من انشائها • كانت معظمها فى الشئون العسكرية والبحرية ولم يكن نصيب الأدب غير كتابين فقط • ومحمد على هو أول من قسم التعليم الى مدارس دينية وأخرى عامة تلك التى عاونت بحماس فيما بعد فى تقسيم الرأى العام • ولكن الرأى العام المصرى نما نموا سريعا عقب الاحتلال وما تبعه من كفاح وطنى •

ثـورة ١٩١٩ :

مع اشتداد الحركة الوطنية وانطلاقتها الواسعة فى ثورة ١٩١٩ ، أصبح الرأى العام عملاقا وأصبحت له بهـذه الثورة قاعدة واسـعة أكسبتهقوة ونفوذا ، فلم يعد الرأى العـام قاصرا على كبار ضـباط الجيش ، والبرجوازية المصرية الناشئة كمـا كان الحال أيام عرابى ، أو قاصرا على المثقفين والشـبان كأيام مصطفى كامل • وانما أصبحت مشاركة الفلاحين فى ثورة ١٩١٩ سببا فى اتساع قاعدة الرأى العـام وقـوته •

وقــد انتشرت على ألسنة النــاس بعــد ذلك عبارات التكريم لسعد زغلول مثل قولهم ان فى احراج ســعد احراج للأمة ، لو رشح الوفد حجرا لانتخبناه ، الاحتلال على يد سعد خير من الاستقلال على يد عدلى • وبعد اعلان تصريح ٢٨ فبراير ورئاسة ثروت باشا للوزارة المصرية ، كان الرأى العام المصرى مشغولا عن الرئيس الجديد بالزعيم المنفى الى (سيشل) وبحركة الاغتيالات لكبــار الموظفين الانجليز ، وللمصريين القريبين من الانجليز حتى أن ثروت نفسه تم اكتشاف محاولة لاغتيــاله •

ولقــد أخذت وزارة « ثروت » من تلك الظروف وسيلة لمصادرة الحــريات فمنعت الاجتماعات السياسية الا لمؤيديها ، وعطلت جريدة الأهالى نهائيا فى مايو سنة ١٩٢٢ وجريدة الأمة ثلاثة أشهر فى ٦ يوليو سنة ١٩٢٢ ، وعطلت جريدة (الليبرتية) نهائيا فى يوليو أيضا سنة ١٩٢٢ كما تم تعطيل جريدة « الأهــرام » ثلاثة أيام • ومن الغريب أنهــا أصدرت تعليمات للصحف بعدم ذكر اسم سعد زغلول وزملائه المنفيين فى مقالاتها أو أخبارها • وهو شطط وتعسف يزيد عن الحد •

وذهبت وزارة « ثروت » فى نفس العام لتجىء وزارة « نسيم باشا » رئيس الديوان الملكى وكانت وزارة ضعيفة هزيلة فأخذ الرأى العام يتبرم من عدم اهتمام هذه الوزارة باطلاق سراح سعد وصحبه • فلم يجد أمامه الا تجديد حوادث اغتيال البريطانيين ، فاستقالت هــذه الوزارة بعد حــوالى شهرين بعد أن حاولت مسخ الدستور وتتابعت الأحداث بنجاح الثورة ورجوع سعد زغلول •

وقــد كان للأدب اسهام كبير فى تغذية الرأى العام • فقد شارك الشعر فى الثورة سنة ١٩١٩ ، فهذا حافظ ابراهيم يصف قواد الجيش الانجليزى الذين ضربوا المظاهرة النسائية التى خرجت فى ١٩ مارس ١٩١٩ بأسلوب لاذع ساخر فيقول :

فليهنأ الجيش الفخور بنصره وبكسرهن
فكأنما الألمان قد لبسوا البراقع بينهن

وعندما مات سعد زغلول سنة ١٩٢٧ رثاه حافظ بقصيدة قال فيها يخاطب الانجليز :

وأتيتم بالحائمات ترامى تحمل الموت جاثما والخرابا
وملأتم جوانب النيل وعدا ووعيدا ورحمة وعذابا
هل ظفرتم منا بقلب أبى أو رأيتم منا اليكم مثابا ؟
فاجمعوا كيدكم وروعوا حماها ان عند العرين أسدا غضابا

كما كان للأدب دور فى ابراز المشاكل الاجتماعية والدعوة الى العدل الاجتماعى بما يؤكد أن سلسلة الرأى العام متصلة الحلقات . ويرى « محمد عبد الغنى حسن » فى كتابه « الفلاح فى الأدب العربى » ان حركة تصوير بؤس الفلاح العربى يمكن ملاحظتها فى الشعر الحديث بعد عام ١٩٣٠ فحسبما يرى المؤلف أن أعوام ما بعد الحرب العالمية الأولى لم يرتفع فيها صوت بالشكوى من سوء حال الفلاح بسبب الرخاء الذى واكب ارتفاع أسعار القطن نتيجة للحرب ، فقد غطى امتلاء جيبه بالنقود على بؤس عيشه وانحطاط مستواه الاجتماعى .

وقد نشر الشاعر أحمد محرم قصيدة فى صيف ١٩٣٢ يصور فيها بؤس الفلاح بقوله :

هل سألت عن الفلاح ما صنعت
به الخطوب وهل أبقت له جلدا ؟

جفت موارده القصوى فطاح به
ما ذاق من عنت الأيام أو وردا

ان يطلب المال تعجزه وسائله
وان يصبه يجده صاحبا نكدا

عن الكنـانة ان أودى به حـــدث
فلن ترى بعـده عـونا ولا عضـدا
ان الذى كان من أعـوادها نفـرا
ما أنفك يصـفر حتى جف أو جهدا

ويتهكم شاعر شعبى مصرى على « المحسوبية » فيقول :

لا أبالى ازاء نفع الأقارب والأصهار
أجـف النيـل أم ذوت الثمـار

التمهيـد لثـورة يوليـو ١٩٥٢ :

ولقـد حمل الأدب فى هـذه الفترة التى نتعرض لها بالدراسة والبحث بذور الثورة التى قادتها الطليعة فى يوليو ١٩٥٢ ، ولم يتخلف واحد من كبار الأدباء فى كتاباته عن الاسهام فى محاربة الظلم وتأييد قضية الحرية والاستقلال والعدل ، بل ان بعض الأدباء لم يكتف بالكتابة فقـد دفعته الظروف الى الوقوف أمام الطغيان وجها لوجه ومثال ذلك قول العقاد المشهور فى البرلمـان بأن الشعب على استعداد لأن يسحق أكبر رأس فى البلد يقف أمام الدستور • ودبرت له تهمة العيب فى الذات الملكية وزج به فى السـجن عـام ١٩٣٠ وبقيت كلمته المشهورة درة فى تاريخ النضال الوطنى •

واذا ضربنا الأمثلة على بذور الثورة فى كتابات الأدباء الكبـار فى هـذه الفترة ، فان أول النماذج وأوسعها حظا من الشهرة قصـة « عودة الروح » لتوفيق الحكيم • تلك القصة التى رأى فيهـا النقاد أول الأمر قصة حب عادية وذهبوا الى أنهـا قصة الحب الأول لتوفيق الحكيم ثم سرعان ما تبين لكثير منهم أن عودة الروح هى قصة مصر فى البحث عن فارسها وبطلها الموعود • كما رأى بعض النقاد أنهـا تكشف الصراع الدائر بين الفلاحين والاقطاعيين الأتراك وبين المصريين والانجليز وأنها تقود الوجدان الى أهمية الوحدة الوطنية • فشخصيات القصة يجمعها المرض والحب والسجن •

ونموذج آخر فى صورة فنية اختار لها الدكتور طه حسين عنوانا « الغانيات » فى كتابه « جنة الحيوان » :

— من أين أقبلت يا ابنتى ؟

— من حيث لا تبلغ الظنون ..

— ماذا تريدين يا ابنتى ؟

— أريد ما لا تقدرون ..

— كيف تقولين يا ابنتى ؟

— أقول ما لا تصدقون ..

— أسرفت فى الرمز يا ابنتى ..

— بل ما لكم كيف تحكمون .

بأين ؟ وماذا ؟ وكيف ؟ يبدأ الشيخ فى لوحة الدكتور طه حسين سؤال الفتاة الجميلة والرقيقة التى بدت له فى غصون الشجر على ذلك النحو ، ثم لا يفهم من حديثها شيئا . كان الشيخ فى طريقه من القرية الى قصر الباشا الحبيب الى نفسه ، والذى يستشيره فيما يعرض له من الأمور ، وكانت الشمس — كما يقول الدكتور طه حسين — قد بولت كالأمل الخائب الكذوب وظلمة الليل حلت كاليأس اذ يدب فى القلوب . وينكر الشيخ نفسه ويخشى أن يكون قد أصابه الجنون ، أو أن هذه الجنية التى تحاوره ويحاورها ستقوده حتما الى الجنون . ويغيب الشيخ عن الباشا يوما ولكنه عندما يذهب اليه فى اليوم التالى يخبره الباشا بقلق شديد أنه رأى مثلما رأى الشيخ وأنه سألها فلم يسمع منها الا الأجوبة الغامضة وخشى الباشا الجنون فاستدعى الطبيب ولكن الطبيب لم ينفعه بشىء . فلما ملأ الخوف قلبه ترك القرية الى القاهرة ، ولكنه وجد أهل المصانع كلهم يتحدثون هذا الحديث . وشاع فى النفوس أمل لا حد له وشاع فى النفوس يأس لا حد له ، وأصبح

الثمانية عشر مليونا من المصريين لكل واحد منهم فتاة حسناء حازمة ... ، وعندما يزداد قلق الباشا ويسأل عن اسمها تقول ساخرة ان اسمها العدالة الاجتماعية .

هذه نماذج من كتابات شيوخ الأدب ، فاذا استعرضنا بعض النماذج لشعارات الشباب التى كانت انعكاسا لقاعدة عريضة من الرأى العام فاننا نجد ذلك فى كتابات وفكر القيادة التى ظهرت على مسرح العمل الوطنى عام ١٩٤٦ من اللجنة الوطنية للعمال والطلبة منها :

* الحكومة تزيد الأغنياء غنى والفقراء فقرا . ان جانبا ضخما من ثروة مصر تحتكرها أقلية من الناس ، ولايبقى لغالبية الشعب غير المرض والفقر والجهل ، وان الباشوات الرأسماليين يشتركون فى مجالس ادارة عدة شركات بلغ استغلالها للشعب حدا كبيرا ولا هدف لها غير توفير الربح الفاحش لحفنة من كبار الرأسماليين .

* ان جموع الأمة عاقدة العزم على تغيير الأوضاع الاجتماعية .

* ان القوانين فى معظمها لمصلحة الرأسمالية .

* الناس سواسية كأسنان المشط ، وان فى هجرة الرسول الى المدينة معنى الثورة على الجوع والفقر .

* يجب على الطبقات الشعبية أن تقوم اليوم بالدور الرئيسى فى الحركات الوطنية لأن الطبقات الحاكمة الحالية تتعاون مع الاستعمار .

* ان سوء توزيع الثروة القومية يتطلب اعادة توزيع الأرض ومنحها للفلاحين فى شكل ملكيات صغيرة ، وانشاء نظام تعاونى .

* أن الشرق يتحـــرر لا بالمهـــانة والاستجداء ولكن بالعنف والثورة •• وفى مصر ثورة تأخذ نيرانها فى الازدياد كل يوم •• بل كل ساعة •

* هل يجدى مع الأحرار قضبان وسجان •

* اذا كنا شرارات فنحن اليوم بركان ••

يا أخى تنعم الكلاب لدى القـــوم
وتشقى فيالهـــا من مضـــحكات

أطلق الثـــورة التى تسكر الصـــدر
وجفف دمـــوعـــك المـــاضـــيات

هى حـــرب الحياة اما حيـــاة
واما ممات يكون معنى الحيـــاة

هذه نماذج على سبيل المثال تبين ملامح الرأى العام وتطوره فى مصر فيما بين ثورتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢

التعليم هو القاسم المشترك :

يعد التعليم من أهم عوامل تطوير الرأى العام ، فقد أدى الى ظهور جيل من الأساتذة كان لهم أثرهم فى الأجيال اللاحقة • وسنتناول هـــذا التعليم كقاسم مشترك يبين لنا تطور الرأى العام المصرى فيما بين ثورتى ١٩١٩ ، ١٩٥٢ ولابد أن نبدأ ذلك منذ الاحتلال • لقـــد أصيب التعليم بضربة مباشرة بعد الاحتلال ففى عام ١٨٨٥ نجد ميزانية التعليم ٨٤٫٦٨٩ جنيهـــا ، وبعـــد خمس ســـنوات هبطت الـــى ٨٠٣٣٨ جنيها • وكان التعليم فى مصر خلال ٢٥ عاما قضـــاها « كرومر » فى تدهور مستمر بسبب سياسته الشديدة العداء للشعب المصرى • وفى عام ١٨٨٩ صدر قرار بجعل لغة التعليم فى المدارس هىاللغة الانجليزية وبذلك قضى الاحتـــلال على النهضـــة التعليمية التى بدأت فى عصر اسماعيل بفضل على مبارك الذى حرص هو وتلاميذه على توسيع هـــذا

التعليم وتطويره ، فقد أنشئت دار العلوم عام ١٨٧٢ ، وفى عام ١٨٧٣ افتتحت أول مدرسة للبنات تحت رعاية زوجة اسماعيل • وان كان هذا التعليم لم يستطع أن يحرر نفسه من المذهب القديم فى تضخيم الحقائق والسير الشخصية الا أنه كان من وجهة نظر المصريين بداية موفقـة لنمو الحياة الثقافية فى مصر •

ويقول « ناداف سافران » أنه لا يمكن انكار اتهـام الوطنيين المصريين للانجليز فى مجال التعليم لأنه يجب أن يقال أن التعليم سار ببطء شديد تحت الحكم البريطانى واستمر التعليم فى هـذه المرحلة يهدف لتخريج موظفين للحكومة • وليس هناك أى دليل على أن المصريين لم يكونوا فى نهم الى التعليم فقد كان اقبالهم على المدارس الخاصـة والمدارس الأجنبية واضحا تماما •

ويستعرض « ناداف سافران » البعثات التعليمية الى الخـارج فى ظل الاحتلال فيقول ان ٧٥٪ من البعثات أرسلت لبريطانيا وان ٦٥٪ من الدارسين تلقوا دراسات انسانية اجتماعية • فى حـين أن البعثات التى تمت قبل الاحتلال البريطانى كانت معظمها الى فرنسا فان ٨٠٪ من الدارسين تلقوا تعليمهم فى فرنسا بالاضافة الى الذين تعلموا على نفقتهم الخاصة وكانت وجهتهم فى الغالب فرنسا أيضا •

والواقع أن قضية التعليم فى مصر قضية وطنية فى المحل الأول •• وكان انشاء الجامعة معركة وطنية تجمعت لها قوى الشعب المفكرة وتبرع الناس لانشائهـا •

وقـد لاحظ المؤلف الأمريكى « ولتر لاكيو » فى كتابه « القومية والشيوعية فى الشرق الأوسط » ان الطلبة فى مصر لعبوا دورا فى الحركة الوطنية المصرية يفوق بشكل واضح ما لعبه غيرهم من الطلبة فى بلاد العالم بمـا فى ذلك الصين وروسيا •

ولقد كان الشباب المصرى الذى تخرج فى الجامعة الأهلية ثم فى الجامعة الحكومية طلائع مثقفــة للشعب أمدت جيلها وما بعده بالفكر والثقافة • ولقد كانت الجامعة المصرية الى جانب كونها معركة وطنية مركزا للاشعاع والنور الذى ساعد الشعب على اكتشاف طريقــه فى الحرية والاستقلال والفكر والفن وغير ذلك من أسباب الحضارة •

ومن قبل الجامعة ظــل الأزهر يقوم بالدور كله وكان أساتذته وطلبته ثقلا سياسيا كبيرا ثم أنشأ محمد على المدارس المدنية كمدرسة الهندســة التى أنشئت عام ١٨٢٠ والطب والصيدلة والطب البيطرى عام ١٨٢٧ وكانت تستمد طلبتها من الأزهر •

ومن ثم بدأ انتقال القيادات السياسية ومواقع الحركة الوطنية الى هــذه المدارس الجديدة ثم الى الجامعة التى افتتحت عام ١٩٠٨ ، ولكن الأزهر ظل عنصرا فعــالا فى الثقافة والسياسة • وكانت محاولة الاحتلال والسراى هى السيطرة على الأزهر وابعاده عن الحياة السياسية والتأثير فيها ، ولم يكن من الممكن أن يتولى الاحتلال ادارة تلك الجامعة الاسلامية فاستقل بها القصر • وكان تعيين شيخ الأزهر يصدر بمرسوم ملكــى •

واذا كان الأزهر قــد فشل فى ابراز صفوة من الزعماء كما كان يفعل من قبل من خلال الفترة التى نتعرض لها بالدراسة والبحث فانه لم يفشل فى تخريج مدرسى اللغة العربية للشعب كله ، وتخريج الوعاظ وأئمة المساجد الذين كان لهم دور هام فى توحيد الرأى العام فى الريف حيث الأمية • وليس للأزهر ذنب فقد فرض عليه الحصار • ورغم ذلك أسهم طلبته فى كل أدوار الكفاح السياسى مع طلبة الجامعة والمدارس •

كما أن للأزهر دوره الخالد فى حفظ التراث الانسانى والاسلامى والعربى عقيدة ولسانا •• وبفضل الأزهر ظل التيار الاسلامى صاحب التفوق فى الرأى العام المصرى ضــد كل مذاهب الالحاد والتحلل الوافد من الخـــارج •

ولقد أثرت المناهج الأزهرية حتى على برامج الجامعة الوليدة ، فلقد كانت المواد الخمس التى بدأت بهـا محاضرات الجامعة الأهلية عند افتتاحها عام ١٩٠٨ هى :

١ ـ الحضارة الاسلامية •

٢ ـ الحضارة الشرقية القديمة •

٣ ـ الجغرافيا والتاريخ عند العرب •

٥ ـ آداب اللغـة الفرنسية •

٥ ـ آداب اللغـة الانجليزية •

وقـد كانت بداية الجامعة بهذه المحاضرات التى تلقى بعد الظهر بداية متواضعة لمـا صار اليه أمرها فيما بعد • فقد بلغ انشاء الكليات من عامها الثالث ، وظلت الجامعة أهلية حتى عام ١٩٢٥ وانتقلت جامعة القاهرة التى كان يطلق عليها جامعة فؤاد الأول الى مبناها الحـالى عام ١٩٣٣ • وأدمجت مدرسة الهندسة فيها عام ١٩٣٥ وتوالى انشاء الكليات بهـا حتى أصبحت من أعظم جامعات الشرق والغرب •

وفى الاسكندرية بدأت جامعتها بانشـاء فرع لجامعة القـاهرة عام ١٩٣٨ يضم كلية الحقوق وكلية الآداب ثم أنشئت كلية الهندسـة فيها عام ١٩٤١ ومن هـذه الفروع الثلاثة بدأت الجامعة عام ١٩٤٢ ، والتى تغير اسمها بعد الثورة من جامعة فاروق الى جامعة الاسكندرية •

أما الجامعة الثالثة فقد ولدت عام ١٩٥٠ حيث كانت هناك معاهد عليا الى جانب الجامعتين السابقتين • وكانت هـذه المعاهد مهنية الى حـد ما لأنها تخصصت غالبا ـ فى تخريج المدرسين ، وفى شهر يوليو من عام ١٩٥٠ ولدت فى القاهرة جامعة ابراهيم باشا التى سميت بعد الثورة جامعة عين شمس وذلك حسما للمشاكل الناجمة عن قصور مناهج الدراسة بالمعاهد العليا ورغبة للشعب فى التعليم الجامعى ومطالبة الطلبة

فى المعاهد العليا بمعاملتهم معاملة زملائهم فى الجامعات • وقد ضمت الجامعة الوليدة المعاهد العليا وطورتها وضمت كليتَين جديدتين على الجامعات المصرية هما كلية التربية ، وكلية البنات • وعقد أول اجتماع لمجلس الجامعة فى أكتوبر ١٩٥٠ برياسة الدكتور طه حسين وزير المعارف اذ ذاك ، وحضور الدكتور محمد كامل أول مدير لهذه الجامعة وعمداء الكليات • ولم تكد هذه الجامعة تخطو خطواتها الأولى حتى شبت الثورة التى أهدتها الكثير من قصور الأسرة المالكة وسهلت لها الأمور ومدت لها يد العون حتى وقفت على قدميها جامعة كبيرة عظيمة •

أما عن المدرسة فقد فرضت الأوضاع قبل الثورة ، طبقية ثقافية تمثلت فى ثنائية التعليم الابتدائى التى تسير فى خطين متوازيين لا يلتقيان :

١ — خط التعليم الابتدائى فالثانوى فالجامعة وجواز المرور فيه نقطة البداية الى أقصى نهاية ، والاقتدار المالى على دفع رسوم الدراسة وأجر التعليم ونفقاته الباهظة •

٢ — أما أبناء الفقراء — حيث القاعدة الشعبية — فلهم طريق آخر يبدأ بالكتاتيب والمدارس الالزامية ومنها الى المعاهد الأزهرية ومدارس المعلمين الأولية التى يقف عندها طموح الطامحين وكفاح الأذكياء الموهوبين •

والهيئة التعليمية فى مدارس الشعب المجانية مختلفة تمام الاختلاف عن بيئة المدارس التى هى بمصروفات — أعنى المدارس الابتدائية وما بعدها — وهذه مختلفة أيضا عن مدارس الارساليات الأجنبية التى كانت تمارس نشاطها الثقافى بمصر قبل الثورة دون رقيب أو حسيب •

تقول الدكتورة « بنت الشاطئ » : « لقد كنا نذهب الى الكتاتيب والمعاهد الأزهرية أو الى المدارس الالزامية ودور المعلمين والمعلمات

الأولية فنقطع الشوط كله دون أن نتعلم حرفا واحدا من لغة أجنبية أو نشاهد أى جهاز من الأجهزة العلمية أو نسمع عن تجربة من التجارب المعملية ، على حين كان تلاميذ المعاهد الأجنبية لا يكادون «يفكون الخط» العربى • والآخرون فى المدارس الأميرية بمصروفات يتعلمون الانجليزية من السنة الأولى الابتدائية ، ثم يضيفون اليها الفرنسية فى المرحلة الثانوية ويتلقون دروس الطبيعة والكيمياء فى المعامل المزودة بالأجهزة العلمية التى لم تكن تخلو منها مدرسة ثانوية » •

ومدارس المعلمين والمعلمات كانت المصـــدر الوحيد الذى يورد لمدارس الشعب المجانيـــة معلميها ومعلماتها ، ومعاهد الأزهر الدينية كانت المصـــدر الوحيد الذى يخرج وعاظ المساجد وأئمتها ، وطبيعى أن هؤلاء كانوا لا يملكون أن يفتحوا أمام تلاميذهم أى منفذ يطلون منه على العلم الحديث والثقافة العصرية فذلك كلـــه كان نصيب المدارس الابتدائية التى كانت هيئة التدريس فيها من حملة الشهادات العليا •

وفى الفترة ما بين عامى ١٩١٩ ، ١٩٥٢ وبتأثير النضـــال الشعبى اتسع نطاق التعليم اتساعا ملحوظا الا أن الفئة المسيطرة على الجهاز التعليمى فى ذلك الوقت كانت تبذل جهودها من أجل حرمان الطبقات الشعبية من حق التعليم المجانى ، وظهر الاتجاه المتمثل فى نقض فكرة المجانيـــة فى التعليم بل ومحاربتها ، والمطالبـــة برفع رسومه ، وفى السنوات الأخيرة من هـــذه الفترة ظهرت مطالب وطنية بالتوسع فى التعليم واصلاحه ولكن حتى هذه وضعت فى قالب طبقى بحيث يكون اصلاح التعليم فى اطار ثنائيته التقليدية •

وتتسم هذه الفترة أيضا بأن الحركات الاصلاحية فيها كانت مجرد مطالب لم تقابل بالتنفيذ العملى الا سنة ١٩٥٠ عندما أصدر الدكتور طـــه حسين وزير المعـــارف حينذاك قانون مجانيـــة التعـــليم الذى كان أعلى درجة من التقدم وصل اليها التعليم فى الفترة السابقة على

ثورة يوليو • كما كان لوزارة المعارف دور خاص فى نشر الثقافة بانشاء ادارة لها عملت على نشر الكتب وتغذية الرأى العام بالثقافة العامة •

كما ساهمت الجامعة العربية ببعض الجهد بانشائها ادارة ثقافية بها ، وكان لانشاء الجامعة الشعبية أيضا أثر ملحوظ على الثقافة ، كما كان لتزايد عدد المكتبات أثر ملحوظ خصوصا فى الأقاليم •

ان هذا المقياس وهو التعليم لا ينفرد وحده ببيان تطـور الرأى العام المصرى ، ولكنه — فيما أرى — هو القاسم المشترك لبيان هذا التطور لأن التعليم فى مصر كان قضـية وطنية ، ولأن حركة التعليم كانت جزءا من الحركة الوطنية • ولا شك أن باحثين غيرى سيجدون فى مجالات أخرى كالصحافة أو الأدب أو الشعارات أو القضايا السياسية والاجتماعية مجالات أخرى يقيسون بها تطور الرأى العام المصرى ، ولكننى أردت أن أقتصر على التعليم باعتبار أنه كان يضم فى محتواه وفى جمهوره الكثير من ثمار تلك المعاملات العديدة •

المراجـــــع

— احمد سويلم العمرى ، **الرأى العـــام والدعاية** ، القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر .

— أحمد عزت عبد الكريم ، **تاريخ التعليم فى مصر** (ثلاثة أجزاء) ، القاهرة ، وزارة المعـــارف العمومية .

— أحمد محمد ابو زيد ، **سكلوجية الرأى العام ورسالته الديمقراطية** ، القاهرة ، عالم الكتب .

— جمال عبد الناصر ، **فلسفة الثورة** .

— شهدى عطية الشافعى ، **تطـــور الحـــركة الوطنيـــة** فى مصر ، ١٨٨٢—١٩٥٦ ، الدار المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة١٩٥٧ .

— عبد اللطيف حمزة ، **المدخل فى فن التحرير الصحفى** ، الطبعـــة الثالثة ، القاهرة — دار الفكر العربى ، ١٩٦٥ .

— عبد اللطيف حمزة ، **أدب المقالة الصحفية فى مصر** ، الجزء الأول . القاهرة ، دار الفكر العربى .

— فؤاد دياب ، **الرأى العام وطرق قياسه** ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر .

— صبحى وحيده ، **فى أصول المسألة المصرية** ، مطبعة مصر ، مكتبة الأنجلو ١٩٥٠ .

— محمد عبد القادر حاتم ، **الرأى العام** ، الطبعة الأولى ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٢ .

— مختار التهامى ، **الرأى العام والحرب النفسية** ، الجزء الأول . الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، ١٩٧٤ .

— جريدة الأهرام ، ١٩٦٥/٨/٢٠ .

— مجلة الطليعة ، نوفمبر ١٩٦٥ .

— Nadaf Safran, Egypt in Search of Political Community London — Oxford University, Press - 1961.



الفصل السادس

الاتصال الثقافي : مفهومه ووسائله

تعبيران فى حقل الاعلام المعاصر يعبران عن حقيقة واحدة هما تعبير الاتصال الثقافى ، وتعبير الاتصال الحضارى • ويقصد بهما اتصال ثقافة أو حضارة بثقافة أخرى أو بيئة ثقافية أخرى أو بحضارة أخرى أو بيئة حضارية أخرى بغض النظر عن مستوى الثقافة أو درجة التطور الحضارى فى المتصل (بكسر الصاد) أو المتصل به (بفتح الصاد) • وكلا التعبيرين فى الحقل الاعلامى يقصد به الدائرة الأوسع من الاتصال بين البشر التى تبدأ بالاتصال الذاتى وهو اتصال الانسان بنفسه ، ثم الاتصال الشخصى وهو اتصال الانسان بأصدقائه وأهله وزملائه ، ثم الاتصال الجماهيرى مثل الاتصال بجماهير غفيرة عن طريق الراديو والصحيفة ، ثم الاتصال الثقافى أو الحضارى الذى نتحدث عنه • ومفهوم الثقافة فى هذا المجال هو اعتبارها أسلوبا ومنهج حياة واعتبارها المناخ العام والشامل لحضارة من الحضارات •

معنى الاتصال الثقافى فى مقابل الغزو الفكرى :

ان تعريفنا للاتصال ثم تعريفنا للثقافة أو الحضارة لنخرج من ذلك بتعريف مركب لمعنى الاتصال الثقافى أو الحضارى لا يستطيع الوفاء بالمعنى المعاصر لهذا المصطلح الجديد : (الاتصال الثقافى) • وعلينا أن نسعى لتحديد معنى الاتصال الثقافى باستجلاء النماذج ، وبتعدد زوايا النظر الى هذا المفهوم الجديد • والقول العربى القديم (وبضدها تتميز الأشياء) قول سديد فى مجال بحثنا عن هوية الاتصال الثقافى • فلدينا تعبير شائع فى الحياة الثقافية المعاصرة يعد نقيضا للاتصال الثقافى هو الغزو الفكرى • واذا تلمسنا الفروق الرئيسية بين الاتصال الثقافى وبين الغزو الفكرى فاننا نجدها ثلاثة هى :

١ — الاكراه والاخضاع فى الغزو الفكرى • وفى المقابل التلقائية والايجابية فى الاتصال الثقافى • مبدأ الحرية اذن هو المبدأ الأول الذى يفرق بين الغزو الفكرى وبين الاتصال الثقافى • كما ينص القـرآن (لا اكراه فى الدين) نقول لا اكراه فى الثقافة أو الحضارة •

٢ — خلق الاستعداد للانفصال عن الجذور الثقافية والحضارية الوطنية بل والتنكر لها واحتقارها فى الغزو الفكرى • وفى المقابل خلق روح الانتقاء والمفاضلة فى الاتصال الثقافى • مبدأ عدم التنكر للتراث الحضارى والانتقاء فى الوقت نفسه يمثل (بشقى عدم التنكر من جانب والانتقاء من جانب آخر) المبـدأ الثانى الذى نفرق به بين الغـزو الفكرى وبين الاتصال الحضارى •

٣ — صياغة العقول فى الغـزو الفكرى • وفى المقابل الاضافة واستكمال البنـاء العقلى فى الاتصال الحضارى • هـذا هو المبـدأ الثالث الذى نفـرق به بين المفهومين المتناقضين مفهـوم الاتصـال الثقافى ، ومفهوم الغزو الفكرى •

التداخـل منطقى ووارد :

ولا شك أن التداخل بين هذه المبادىء الثلاثة وارد ومنطقى فى الوقت نفسه ، لأنها مترابطة ويؤدى بعضها الى حدوث الآخر • والجدير بالعناية أن الفروق بين الاتصال الحضارى وبين الغزو الفكرى ليست مسألة تاريخية أو مسألة دراسة وحسب ، وانما هى مشكلة آنيـة فى عالمنا المعاصر •

لقد عقد فى مدينة البندقية فى أواخر أغسطس ١٩٧١ م مؤتمـر اليونسكو موضوعه السياسات الثقافية • وعقد فى أواخر يوليو ١٩٨٢ وأوائل أغسطس ١٩٨٢ مؤتمر مشابه فى المكسيك • واذا تصفحنا خطب رؤساء الوفود فى المؤتمرين فاننا نستطيع الغاء الفترة الزمنية بينهما

فى الفقرات المتعلقة بالغزو الفكرى • ولقد عبر عن مضمون ذلك كله رئيس وفد من وفود أمريكا اللاتينية فى ندوة ثالثة بين المؤتمرين عقدت تحت مظلة اليونسكو أيضا عن الحقوق الثقافية • قال عن قضية الثقافة فى بلاده • وعمم على أمريكا اللاتينية : « ان معظم شعوب أمريكا اللاتينية لا يملكون أية ثقافة • كيف هم ؟ ومن هم على وجه اليقين ؟ عندما تعرفهم معرفة صحيحة تجد أن موقفهم من الحياة سليم • ومع ذلك ، فهم أناس بلا أرواح • وبصفة خاصة بغير ارادة • واذا أنت سألتهم ماذا يريدون أو فيما يفكرون لن تحصل منهم على رد » • ان انعدام الشعور بالكرامة وانعدام الثقافة مترادفان •

ان التداخل بين المبادىء الثلاثة التى فرقنا بها بين الاتصال الحضارى وبين الغزو الفكرى وارد ومنطقى تاريخيا • وان التشابه بين آثار الغزو الفكرى وارد جغرافيا فما حدث فى أمريكا اللاتينية حدث مثله فى الشرق الأوسط وفى آسيا وفى أفريقيا •

الأفكار المستوردة عبارة مضللة :

من امعان النظر فى هذه الفروق بين الغزو الفكرى وبين الاتصال الثقافى يبدو لنا مفهوم الاتصال الثقافى أكثر وضوحا • ولكن تحذيرا مهما فى هذا المجال يجدر بنا أن نبرزه ، وأن نتنبه اليه ، ذلك هو شعار الأفكار المستوردة • ان هذا الشعار أو هذه المقولة خاطئة ومضللة • ليس فى الفكر ولا فى الأفكار ما يمكن أن نسميه أفكارا مستوردة • الفكر عالمى وانسانى وملك للبشر جميعا وبوابات الجمارك وبوابات الحدود التى يعبر من خلالها هى عقل الانسان • ولقد استخدم شعار الأفكار المستوردة ضمن الصيحات المنكرة للرجعية أمام التجديد والبعث وضمن سطوة الحكام ضد الديمقراطية والشورى • وكلاهما قصد افهام عامة الناس أن الأفكار المستوردة تعنى هدم قيم المجتمعات وعقائدها ونظمها • وللمؤرخ المصرى عبد العظيم رمضان مقولة فاصلة فى الرد

على الصيحة المنكرة باتهام الأفكار المستوردة • يقول عبدالعظيم لتلاميذه تصوروا لو أن أجدادنا أيام عمرو بن العاص كانوا فى المستوى العقلى المتدنى الذى هبط اليه الصائحون باتهام الأفكار المستوردة فى أيامنا هذه وقال الأجداد أن الاسلام أفكار مستوردة قادم الينا عبر البحر الأحمر أو عبر آسيا أو عبر سيناء وليس نابعا من سفح الهرم أو ضفاف الدلتا أو الصعيد •• ماذا كان يمكن أن يحيق بنا من خسران لو قدر لصيحة منكرة أن تنجح فى منع الاسلام عن أرواحنا وعقولنا وقلوبنا بحجة أنه أفكار مستوردة ؟

من هذا يتضح لنا أكذوبة شعار الأفكار المستوردة • وهذا هو التحذير الذى ينبغى أن نتيقظ اليه ونحن نتحدث عن الاتصال الثقافى•

وسائل الاتصال الحضارى :

أكثر ما يكون الخلط عند الحديث عن الاتصال الحضارى فى الوسائل • فكثير من الباحثين يخلط وسائل الاعلام بوسائل الاتصال الحضارى • واذا كان من الطبيعى أن تشترك بعض الوسائل فى الحقلين الا أن للاتصال الحضارى وسائل يختص بها ولوسائله ملامحها الخاصة وسماتها المحددة • ويمكن حصر أهم وسائل الاتصال الحضارى فيما يلى :

١ — السياحة :

مع تقدم وسائل النقل برا وبحرا وجوا • ومع ازدياد الرغبة الانسانية فى المعرفة والمشاهدة • ومع توفر الوقت لدى الناس بسبب الاعتماد الجزئى على الآلات فى الانتاج والخدمات • مع كل ذلك أصبحت السياحة فى عالمنا المعاصر وسيلة من وسائل الاتصال الحضارى • ولقد بينت الاحصائيات أن حركة السياحة العالمية فى ازدياد مستمر • وأن توقعات الخبراء تؤكد الزيادة الكبيرة فى المستقبل • ففى مقابل ٦٥٢ مليارا من الدولارات (اجمالى انفاق العالم على السياحة)

فى عام ١٩٨١ يقدر الخبراء أن يصل الانفــاق فى عام ١٩٩٠ ميلادية الى ١٠٦٢ مليارا من الدولارات •

وبرغم ما تبرزه الاحصائيات الدولية من أن حركة السياحة عالميا تتجه الى أماكن الاستجمام والراحة والتسلية بعد أن كانت من قبل تتجه الى الآثار •• برغم ذلك فان الاتصال الحضارى يجد طريقه فى أوجه النشاط الانسانى المختلفة بين السائحين والبلدان التى يزورونها•

ومن الجدير بالملاحظة أن الدول المتقدمة تحظى بنصيب الآسد من حركة السياحة العالمية فوفق احصائيات عام ١٩٨١ تحصل ايطاليا على ١٧٪ من حركة السياحة العالمية تليها الولايات المتحدة التى تحصل على أكبر عائد من الدخل السياحى ثم تأتى فرنســا وبعدها أسبانيا وبعدها انجلترا ثم النمسا بينما يصــل نصيب مصر وفق احصائيات العام نفسه ١٩٨١ الى ٤٦ر٪ ، وحيثما ذهب السائحون ففى تحركهم اتصال حضارى لا شك فيه •

٢ — الحج :

فى كثير من الديانات يعد الحج منسكا من مناسكها • وفى واقعنا الاسلامى يعد الحج ركنا من أركان الاسلام • والحج فى الاســلام حجان • بضعة أيام فى الشهر الأخير من العام القمرى ويسمى الحج الأكبر ، وله مناسك محددة فى أماكن معينة داخل مكة وعلى أطرافها • ثم حج طوال الأيام الأخرى من العام وعلى مدار الليل والنهار ويسمى العمرة أو الحج الأصغر • هذان الحجان فى الاسلام يمثلان مؤتمرا سنويا عالميا فى الحج الأكبر ولقاء مفتوحا مستمرا طول العام فى العمرة•

وفى صور الحج المختلفة نجد وسيلة اتصال حضارى متميزة ، لأن جموع الحجاج تكون عادة فى حالة من الشعور بالانتمــاء لعقيدة واحدة مما ييسر التقارب ، ويزيد من فاعلية الاتصال ان وجد •

٦ — الحروب :

ليست كل الحروب بطبيعة الحال وسائل اتصال حضارى • فحروب القبائل العربية فى الجاهلية مثل حرب « داحس والغبراء » ليست وسيلة اتصال حضارى • ولكن الفتوح الاسلامية ؛ والحروب الصليبية برغم ما بين كل منهما من اختلاف شديد فى الأهداف الا أنهما كانتا من الحروب التى تعد من وسائل الاتصال الحضارى • والحملة الفرنسية على مصر التى استمرت نحو ثلاث سنوات تعد أيضا من وسائل الاتصال الحضارى ، فى حين أن الاستعمار الفرنسى للشمال الافريقى لم يكن كذلك ، وانما كان غزوا فكريا أو بمعنى أدق نموذجا للغزو الفكرى فى القرن التاسع عشر والعشرين الميلاديين • والفرق بين الحروب التى تعد من وسائل الاتصال الحضارى والحروب التى لا تعد من وسائل الاتصال الحضارى لا يكمن فى أهدافها ، وانما يكمن فى الظروف الموضوعية وفى الفترة التاريخية وفى نمو حضارة أو اضمحلالها • تلك الأحوال مجتمعة هى التى تجعل من حروب وسيلة اتصال حضارى ومن حروب أخرى ليست وسيلة اتصال حضارى •

فاذا نظرنا الى الفتوح الاسلامية نجد أن الجزيرة العربية أصبحت فى أواخر عهد الرسول صلى الله عليه وسلم تدين بالاسلام • وجاء بعده الصديق ينفذ ما كان قد اعتزمه النبى فى تسيير الجيش الاسلامى الى الشام بقيادة أسامة بن يزيد ليرفع عن أهلها طاغوت حكم الروم • وجاء عمر بن الخطاب ليكمل مسيرة الفتوح التى تتابعت كماء السيل • ففى سنة ١٧ هـ أصبحت فلسطين والأردن وسوربة ولبنان والعراق تحت اللواء الاسلامى • وفى سنة ٢٠ أصبحت مصر فى حوزة الاسلام • وفى سنة ٢١ دخلت فارس تحت مظلة الفتح الاسلامى وفى سنة ٣٥ بلغت الفتوح الاسلامية الشمال الافريقى • وفى سنة ٥٦ أصبحت سمرقند تحت اللواء الاسلامى • وفى سنة ٩٦ وصل اللواء الاسلامى الأندلس حتى جبال البرانس ووصل اللواء حتى حدود

الصين • وكان فى طليعة الجيوش الاسلامية صحابة رسول الله وكانوا كلما دخلوا بلدا أقاموا مسجدا ومكث بعض الصحابة والتابعين ينشرون الاســلام • وكان الخلفاء يمدون البلدان المفتوحة بالعلماء ، وبسرعة أصبحت فى تلك الأقاليم مراكز علمية مزدهرة • ففى الكوفة مثلا هبط ثلاثمائة ممن كانوا مع النبى فى الحديبية ، وسبعون من أهــل بدر • وفى البصرة كان الصحابى أنس بن مالك والصحابى عبد الله بن عباس وغيرهم كثير •

ويروى الحسن البصرى أنه أدرك ٥٠٠ من الصحابة فى الشــام وقــد كتب يزيد بن أبى سفيان الوالى الى عمر بن الخطــاب ليعينه بالعلماء ليفقهوا أهل الشام فأرسل اليه معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء • فأقام عبــــادة فى حمص وأبو الدرداء فى دمشـــق ومعاذ فى فلسطين • والى جانب هؤلاء أعــلام من الصحابة مثل بلال ابن رباح وخالد بن الوليد والفضل بن العباس بن عبد المطلب المدفون بالأردن • وفى مصر كان الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت والمقداد ابن الأســـود وعبد الله بن عمر وعبد الله بن أبى السرح • وهكذا كان الشأن فى شمالأفريقيا ، والأندلس ، واليمن ، وخراسان ، وسمرقند •

وفى حديثنا عن الحروب باعتبارها وسيلة اتصال حضارى لاندرس المنتصر أو المهزوم وانما ندرس الاتصال الحضارى من بيئة متحضرة الى أخــرى فى مرحلة التقبل الحضـــارى أو الاستعداد الحضـــارى أو التهيؤ الحضارى ، ويحدثنا التاريخ عن سريان الاتصال الحضارى من المهزوم الى المنتصر فى بعض الظــروف لقــد استولى المغول على بغداد سنة ٦٥٦ هـ — ١٢٥٨ م وضربوها تماما ، وخنقوا آخر العباسيين المعتصم بالله بأمر رئيس الغالبين (هولاكو) • ونهبوا ما فى بغداد من أموال وحرقوا كتبها التى جمعها قبل هــذه الكارثة الهائلة محبو العلم ، وألقوها فى نهر دجلة ، فتألف منها جسر كان يمكن للناس أن يمروا عليه رجالا وركبانا ، وأصبح ماء دجلة أسود من مدادها • كما روى قطب

الدين الحنفى • ولكن أولئك الوحوش الضـــارية الذين أضرموا النار فى المبانى ودمروا الكتب وخربوا كل شىء نالته أيديهم خضعوا لسلطان حضارة المغلوبين بدورهم حتى أن هولاكو الذى خرب بغداد وأمر بجر جثة آخـــر العباسيين تحت أسوارها بهرته عجائب حضارة العـــرب الجديدة فى نظره ، فلم يلبث أن صار من حماتها • وفى المدرسة العربية تمدن المغول ، واعتنقوا دين العـــرب وحضـــارتهم ، وشملوا متفننى العرب وعلماءهم برعايتهم ، وأقاموا فى بلاد الهنـــد دولة قوية عربية وذلك لأنهم أحلوا حضارة العرب محل الحضارة القديمة (١) •

واذا كان سريان الاتصال الحضارى فى الحروب يتم أحيانا من المنتصر وأحيانا من المهزوم كذلك فان حروبا تمتد الى أكثر من قرنين وأخرى لا تتجاوز أعواما ثلاثة يحقق كل منهما الاتصال الحضارى • ومثال الأولى الحروب الصليبية ومثال الثانية الحملة الفرنسية على مصر •

ولطالمـــا ذكرت الحروب الصليبية كلما ذكر تاريخ الحضارات • ولطالمـــا اختلف الباحثون حـــول دورها فى نقل الحضارة العربية الى أوربا وقـــد رأى البعض أن للحروب الصليبية الفضـــل الأول فى نقل الحضارة العربية الى أوربا ولكن مؤرخا مشهورا مثل جوستاف لوبون لم ير للحروب الصليبية كبير فضل فى تمدين أوربا • وهو يذهب الى القول بأن ما اقتبسه الأوربيون أثناء الحروب الصليبية هو وسائل ترف الشرقيين ، وطراز العمارة والصناعة • وهو يخالف كثيرا من المؤخين فى استفادة الصليبيين من علوم العـــرب الخالصة ويقول انهـــا كانت قليلة جدا بسبب عدم ادراك الجيوش الصليبية للمعارف وأصولها • وقـــد يكون هـــذا الرأى مناسبا لأول العهد فى الحروب الصليبية ولكنه لا يناسب الحال بعد مرور قرنين على دخـــول الصليبيين بيت المقدس فى ١٥ يوليو عام ١٠٩٩ م • غير أن لوبون يعترف بأن تضعضع النظام الاقطاعى فى فرنسا وايطاليا كان نتيجة للحروب الصليبية • ويؤكد على تأثير الحروب الصليبية فى الصناعة والفنون « فقد استوقفت نفائس

الشرق الباهرة أنظـار السنيورات الصليبيين مع جلفهم فوجـدوا فى التجـارة وسيلة تقليدها ، فنرى اقتباس نفـائس الشرق فى أسلحة الغرب وثيابه ومساكنه فى القرن الثانى عشر والقرن الثالث عشر على الخصوص.وكلما نمت النفائس أدت الى تقدم الصناعة بحكم الضرورة. وتبحث الصناعة عن المنتجات التى تطلبها التجارة منها بطبيعة الحـال فتحفزها الضرورة الى القيـام بذلك من فورها . واذا كانت صناعة الخشب والمعادن والميناء والزجاج تتطلب معارف كثيرة فقـد اقتبسها الأوربيون من آسـيا مع جهلهم لهـا قبل دور الحروب الصليبية . وعم أمرها بذلك فى أوربا فعن صور أخذت البندقية نمـاذج صناعة الزجاج ، وعن المسلمين أخذت أوربا صناعة النسائج الحريرية والصباغة المتقنة ، وعن سورية أخذ عمال الحملات الصليبية التى دام أمرها قرنين وصانعوا أسلحتنا ومهندسيها وتجارها ومن اليهم ما كانوا يجهلون من المعارف الصناعية . وذلك فى أثناء اقامتهم الطويلة بها وكان تأثير فنون الشرق فى الغرب عظيما أيضا فقـد نشأ عن ايلاف الصليبيين ضروب منتجـات الشرق الممتد من القسطنطينية الى مصر تهـذيب أذواقهم الغليظة ، ولم يلبث فن العمارة أن تحول فى أوربا تحولا تاما (٢) .

ومثلما كثر الجـدل والنقاش حول الحروب الصليبية ودورها فى نقل الحضارة كذلك كثر الجدل حول دور الحملة الفرنسية فى النهضـة المصرية الحديثة . فيذهب بعض المؤرخين الى اعتبار أن الحملة الفرنسية على مصر هى التى فتحت عيون المصريين على الحضـارة الغربيـة المعاصرة ، والبعض الآخـر ينكر دورها ويذهب الى أن فترة الحملة التى تقل عن ثلاثة أعوام لا يمكن أن يكون لها دور تاريخى فى أعمار الشعوب . ولكن الدكتور حسـين نصـار (٣) يوائم بين فترة الحملة ودورها الحضارى بالنظـر الى حالة التهيؤ للشعب المصرى فى ذلك الوقت . فهو ينظر الى الأمر من موضع آخر .. فالنهضة .. من وجهة نظره .. علامة على السخط على الموجـود والسعى الى تغييره وعلى ذلك فانه يجد هـذه الظاهرة واضحة كل الوضوح فى ولاية على بك

الكبير فى عام ١٧٦٠ الذى يعد عهده بداية حقبة جديدة والدليل على ذلك تلك الحـــركة الشعبية التى جاءت مواكبة لحـــركته ضـــد الدولة العثمانية أو متأثرة بها كالتى قامت بها جماهير مصر فى أثنـــاء الحملة الفرنسية •• وبعدها الى أن نصبوا محمد على واليا عليهم •

ويؤكد الدكتور حسين نصار على أهمية التأثير الفرنسى فى اشعال النهضة ولكنه يرفض أن يكون هـــذا التأثير هو الباعث الأول لهـــذه النهضة ، ويرى أن مجىء الحملة الفرنسية المبكر بعد ثورة على بك كان له أثره فى توجيه النهضة الوجهة التى أخذتها • فقد جعـــل ذلك مصر أول دولة عربيـــة أغلبية شعبها مسلمة تقع تحت التأثير المباشر للتفكير الغربى أو تتصل به اتصالات مباشرة ومتعددة ، مما أدى الى تغير الحيـــاة الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية فيها تغيرا هاما • وكانت بذلك أول دولة عربية مسلمة تستجيب لهذا التغيير • ثم كانت الهادى لبقية أقطار العروبة •

ويرد الدكتور حسين نصار على ادعاء البعض بأن لبنان سبقت مصر فى الاتصال والتأثر بالفكر الفرنسى وعمقه قائلا بأنه يعترف بأن ذلك حق •• ولكن فى بعض المجالات •• كما أن هـــذا التأثير اقتصر على لبنان فى غالبه لوجـــود الأكثرية المسيحية وخاصـــة المـــارونية • أما التأثر المصرى فكان فى خصوبة أرض مصر ، فنقل ثماره الى بقية الأقطار العربية وعرفها بهـــا ، وأتاح لهـــا التأثير فيها ويرجع ذلك الى عـــدم وجود فروق أو حساسيات بين شعوب هـــذه الأقطار والشعب المصرى • بالاضافة الى أن مصر لم تكن تأخذ الظاهرة الأوربية على علاتها بل تنتقى منهـــا ما يلائمهـــا أو تخضعها لتحوير يجعلها مناسبة للمجتمع المصرى العـــربى فى كثير من الأحيان مما يجعلها مقبولة عند الآخـــرين •

والسؤال الجدير بالاهتمام هو : هل تظل بعض الحروب وسيلة اتصال حضارى ؟ ان حروب اليوم اختلفت عن حروب الأمس فى عنصر

الاتصال ففى أيامنا هــذه تدور الحروب دون أن يرى الجنود وجوه أعدائهم • ولكن الحروب ستظل • بل ربما تبقى القاعدة هى الحروب والاستثناء هو السلام • لقد أحصى ويل ديورانت مؤلف قصة الحضارة سنوات السلم خلال أربعين قرنا فوجدها أقل من ثلاثة قرون • لذلك نستطيع أن نقرر بأن بعض الحروب أدت دورا فى الاتصال الحضارى دون جدال وأن حروب الغد قــد تقضى على كل الحضارات دون تمييز • وذلك بسبب التقدم المذهل فى أسلحة الدمار الشامل •

٤ ــ **الكتــاب :**

ليس كل كتاب بطبيعة الحــال وسيلة اتصـــال حضارى • كذلك لا نذهب مع القائلين بأن الكتب السماوية وعلى وجــه الخصــوص (القرآن الكريم) وسائل اتصال حضارى أو ثقافى أو ما شابه ذلك • ان الكتب السماوية لهــا مواقعها الخاصـــة فى هداية البشر ، وتنظيم حياتهم لكسب الدنيا والآخرة • وما نقصــده بالكتاب باعتباره وسيلة اتصال حضارى ــ الكتاب البشرى الذى يؤلفه فرد أو جماعة ســواء كان المؤلف معلوما أو مجهولا • الكتاب الذى ينتقل من حضـــارة الى أخرى ومن بيئة الى أخرى مؤثرا وحيا • ومثال ذلك كتاب (أقوال الآباء) الفرعونى الأصل والمجهول المؤلف والذى فقد أصله الهيروغليفى، وترجم من اللغة اليونانية الى اللاتينية فى القــرن الخامس الميلادى ، ثم الى عدد من اللغات القديمة فى ظل الكنيسة • وكتاب وصف مصر الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية ، وكتاب الأمير لمكيافلى ، وكتاب ألف ليلة وليلة ، وكتاب الاليــاذة ، وكتاب رأس المــال لكارل ماركس ، وكتاب كليلة ودمنة •

والكتاب بصفة عامة لأبد وأن يعكس الثقافة التى ينتمى اليها • ان الاطلاع على كتاب مدرسى فى قواعد اللغة العربية والتعبير فى الأزهر المعاصر ، أو فى مركز من مراكز تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بهــا يختلف ثقــافيا عن كتاب مدرسى فى قواعد اللغــة الفرنسية والتعبير فى مدرسة فرنسية ، أو فى مركز ثقافى فرنسى فى قارات العالم•

وتمثل الترجمة الجانب الأساسى فى مجال الكتاب باعتباره وسيلة اتصـال حضارى • ويحدثنا التاريخ عن اهتمام العرب بترجمة أهم الكتب اليونانية الى اللغـة العربية • وأن حركة الترجمة قـد بدأت مع الدولة الأموية ثم بلغت شأنا كبيرا فى الدولة العباسية ، وبخاصـة فى عصر المـأمون الذى اهتم بالترجمة اهتماما خاصا ، وأنفق عليهـا بسخاء • ثم جاء الدور على أوربا فى نهضتها الحديثـة لتترجم كتب العرب الى اللاتينية ، ولتترجم الكتب اليونانية من النص العربى • ومن هـذا الباب الواسع كان الكتاب سفير الحضارات • « لقد دخلت العلوم أوربا من أسبانيا وصقلية وايطاليا • وذلك بأن مكتبا للمترجمين فى طليطلة بدأ منذ سنة ١١٣٠ م ينقل أهم كتب العـرب الى اللغـة اللاتينية تحت رعاية رئيس الأساقفة ريمون ، وأن أعماله فى الترجمة كللت بالنجاح ، ولم يتوان الغرب فى أمر هـذه الترجمة فى القـرن الثـانى عشر والقـرن الثالث عشر والقـرن الرابع عشر من الميلاد ولم يقتصر الغرب على ترجمة مؤلفات علماء العرب كالرازى وأبى القاسم وابن سينا وابن رشد وغيرهم الى اللغة اللاتينية بل نقلت اليها أيضـا كتب علماء اليونان التى كان المسلمون قـد ترجموها الى لغتهم كتب جالينوس وأبقـراط وأفـلاطون وأرسـطو وأقليـدس وأرشميدس وبطليموس ، فزاد عدد ما ترجم من كتب العرب الى اللغـة اللاتينية على ثلاثمائة كتاب • القرون الوسطى لم تعرف كتب العالم اليونانى القديم الا من ترجمتهـا العربية وبفضل هـذه الترجمة أطلعت أوربا على كتب اليونان التى ضاع أصلها اليونانى » (٤) •

وفى عالمنا المعاصر تمثل ترجمة الكتب فى أغلبها اتجاها ذا تدفق واحد ، من الحضارة الأوربية المعاصرة الى العالم الثالث • وقليل من كتب العالم الثالث التى تحظى بالترجمة الى احدى اللغات الأوربية • لذلك كانت ضـمن مقترحات مصر فى مؤتمر السياسات الثقافية الذى عقد فى المكسيك خلال يوليو ١٩٨٢ تحت مظلة منظمة اليونسكو اقتراحا بانشاء مركز عالمى للترجمة يتبع منظمة اليونسكو ، تكون مهمته تلقى

ما ترشحه الهيئات الثقافية فى دول العالم الثالث من أعمال فكرية وأدبية وفنية وترجمته فى وقت واحـد الى اللغات الأوربية وطبعـه ونشره وتوزيعه فى كل الشعوب التى تتكلم هـذه اللغـات مع الالتزام بكل الحقوق الخاصة بالمؤلف ودار النشر الأولى ، حتى يمكن تعريف المثقف العالمى بانتاج مثقفى دول العالم الثالث .

كذلك من الكتب التى تذكر فى وسائل الاتصال الحضارى انتـاج المستشرقين والمعاجم المزدوجة اللغـة .

٥ — الفيلم السينمائى :

واذا كان من واجب الاعلام فى أى مجتمع أن يقـدم للمجتمع الدولى الشخصية الوطنية فان (الفيلم) يقوم بهذا كله . وبصـورة أكثر شمولا وأوقع أثرا ، لأنه يستخدم عناصر الدراما ولا يقتصر على عناصر الخبر . ان كل شعب من خلال أفلامه يريد أن يكون له صوت فى الساحة العالمية سواء بقصد أو بغير قصد . وعندما اجتمعت اللجنة الدولية لدراسة مشكلات الاعلام النابعة من منظمة اليونسكو عام ١٩٧٩ فى باريس جاء فى تقريرها عن مشكلات الاعـلام فى المجتمع الحديث ما يتعلق بالسينما على وجه الخصوص فى أربع نقاط رئيسية :

النقطـة الأولى : يختلف التنظيم العالمى لصناعة الأفلام اختلافا كليا عن تنظيم وسـائل الاعـلام الأخرى . وتأتى القارة الأسيوية فى مقدمة البلاد المنتجة للأفلام ففى عام ١٩٧٥ أنتجت هـذه القارة (١٩٦٠) فيلما طويلا من مجموع (٣٨٠٠) فيلم فى العـالم أجمع . وتعتبر الهند على رأس المنتجين فى العالم (٥١٠) تليها اليابان (٣٣٠) وتأتى أوربا فى المرتبة الثانية من ناحية الانتاج (١١٢٠) حيث تتبوأ ايطـاليا المرتبـة الأولى (٢٣٠) تليها فرنسا (٢٢٠) أما الولايات المتحـدة والاتحاد السوفيتى فقد أنتج كل منهما فى عام ١٩٧٥ مائة وثمانين فيلما . ويتضح من ذلك أن أمريكا الشمالية وأوربا لا تسيطران

على هـذا الانتاج كما هو الحال بالنسبة لبقية وسائل الاعلام • وثمة ظاهرة أقل شأنا وان كان لهـا مغزاها هى ما تبينه الاحصاءات العامة من تناقص عدد دور السينما فى أمريكا الشمالية وأوربا خلال العقـد الأخير ، بينما سجل هـذا العدد ازديادا سريعا فى الاتحاد السوفيتى وازديادا أبطأ فى بقية أنحاء العالم •

النقطة الثانية : تتلخص فى أن كميـة الأفلام المنتجة فى كل بلد لا تشكل العامل الأساسى لتداولها أو للتأثير الذى تتركه على الأنماط الثقافية على الصعيد الدولى • ان تداول الأفلام تسـوده المصـالح التجارية وأحيانا المصالح الثقافية • وتأتى الولايات المتحدة فى مقدمة الدول المصدرة للأفلام تليها ايطاليا ففرنسا فالمملكة المتحدة فالهنـد فالاتحاد السوفيتى • ويعود الخلل هنـا الى أن البلاد الصناعية تتبوأ المرتبة الأولى فى مجال التصدير بينمـا لا تحتل مثل هـذه المكانة فى مجال الانتاج • كما أن توزيع الأفلام فى العالم يخضع الى حـد كبير لعامل اللغة والثقافة • والأفلام الصينية خير مثال على ذلك حيث توزع على نطاق واسع فى البلاد التى تضم بين سكانها عددا كبير من السكان الصينيين ، بينما تبقى الأفلام المنتجة فى لغـات أسيوية أخرى ضمن حدود بلادها •

النطقة الثالثة : تتولى الشركات الخاصـة انتاج الأفلام الطويلة باستثناء الدول الاشتراكية وعدد صغير من الدول الأخرى فى مختلف أنحاء العالم • ولكن يزداد اهتمام الحكومات يوما بعد يوم بهـذه الصناعة بحيث تعتبر اليوم أن المصلحة العامة تقتضى مساهمة الدولة فى بعض حقول انتاج الأفلام • وتحظى موضـوعات معينة بالتشجيع على شكل مساعدات • ولوحظ فى السنين الأخيرة أن حوالى اثنتى عشرة حكومة أكثرها فى أوربا الغربية قـد منحت المنتجين التجاريين اعانات لأسباب ثقافية أو اقتصادية • وفى أكثر البلاد يقتصر تدخل الدولة على تطبيق الرقابة على الأفلام أو تقييمها حسب فئات الجمهور الذى يتاح لفئاته مشاهدتها •

النقطة الرابعة : تهتم هذه الصناعة الى جانب انتاج الأفلام الطويلة بانتاج أنواع أخرى من الأفلام ، كالأفلام القصيرة عن أحداث الساعة، والأفلام والصور المتحركة والأفلام الثقافية والأفلام التعليمية وما شابه ذلك ، فاذا كانت الأنواع الثلاثة الأولى تصادف صعوبة للوصول الى جمهور كبير فان الأفلام الثقافية والتعليمية تسجل تقدما ملموسا بفضل التلفزيون والحفلات السينمائية التى تنظمها المدارس ، ويقوم بانتاج مثل هذه الأفلام الى جانب الشركات التجارية أجهزة الدولة ومجالس السينما وشركات الاذاعة التى قد تقتصر مساهمتها على العون المالى فقط ،

٦ — تبادل الوفود والبعثات :

بدءا من السفارات الى فرق الفنون الوطنية تعد كل أشكال تبادل الوفود والبعثات وسائل اتصال حضارى ، وهى وسيلة موغلة فى القدم من وسائل الاتصال الحضارى ، ولكن ظهور ما سمى بالدبلوماسية الشعبية فى القرن العشرين الميلادى جعل هذه الوسيلة أكثر فاعلية مما سبق من عصور ، وتتمثل الدبلوماسية الشعبية فى تبادل الزيارات وعقد الندوات والمؤتمرات بين اتحادات العمال والشباب وما الى ذلك من منظمات شعبية ،

وتحظى البعثات التعليمية بأهمية خاصة فى هذا المجال من مجالات الاتصال الحضارى ، ان المدرسين الذين يتوجهون الى بلدان صديقة للتدريس فى مدارسها ينقلون الى طلابهم مع المعارف والدروس أنماطا ثقافية وحضاررية ، وفى بعثات طلب العلم تتحقق ميزتان رئيسيتان الأولى حالة التهيؤ النفسى للمسافرين حيث أنهم يذهبون الى موطن العلم قاصدين التعليم والثانية أن طلاب العلم المسافرين للتعلم يمثلون نخبة من أوطانهم ، وتطالعنا دائما أسماء المفكرين والأدباء المصريين الذين عادوا من البعثات فى أوربا (منذ عصر محمد على الى ثورة ١٩٥٢) فأسهموا اسهاما كبيرا فى الحياة الفكرية ، وتتكرر

الظاهرة نفسها فى حلقات سلسلة الحضارة • يقول جوستاف لوبون : « عرب الأندلس وحدهم هم الذين صانوا فى القرن العاشر من الميلاد العلوم والآداب التى أهملت فى كل مكان حتى فى القسطنطينية ، ولم يكن فى العالم فى ذلك الزمن بلاد يمكن الدرس فيها غير الأندلس العربية وذلك خلا الشرق الاسلامى طبعا • والى بلاد الأندلس كان يذهب أولئك النصارى القليلون لطلب العلوم فى الحقيقة • ونذكر منهم على حسب بعض الروايات ، جربرت الذى صار بابا عام ٩٩٩ م باسم سلفستر الثانى ، والذى أراد أن ينشر فى أوربا ما تعلمه ، فعد الناس ما عمله من الخوارج واتهموه بأنه باع نفسه للشيطان » (٥) •

٧ — الاذاعات الموجهة :

وهى وسيلة فرضتها روح العصر • وأول المشاكل التى تنحرف بها عن هويتها كوسيلة اتصال حضارى هى أنها لا تقدم للمستمع صورة تلقائية أو صحيحة عن مجتمعها • وانما تتوجه للمستمع بصفة مباشرة بغية جذبه دعائيا الى ما تريد وبرغم ذلك فان طبيعة العصر جعلت منها وسيلة اتصال حضارى لا يمكن اغفالها وذلك بسبب خصائص الراديو فى اجتياز الحدود الجغرافية • وبسبب هذه الخصائص ذاتها نشب ما أطلق عليه حرب الأثير أو ما يطلق عليه الآن حرب طواحين الهواء • ولقد كانت ظروف الحرب العالمية الثانية العامل الرئيسى فى بروز هذه الحروب الاذاعية ثم ساعدت ظروف الحروب الباردة بعد ذلك وظروف حدة الصراع العقائدى بين الشرق والغرب على استمرار حروب الاذاعات • وأصبح فى هذا المجال ما يمكن أن نسميه بالهجوم الاذاعى ثم الهجوم المضاد أو الرد ، ففى أغسطس ١٩٨٢ توترت العلاقات بين كوبا والولايات المتحدة بسبب الاذاعات الموجهة أو ما يطلق عليه حرب طواحين الهواء نسبة الى (الهوائيات) الخاصة بالاذاعة • لقد بدأت ادارة ريجان تبتكر وسائل جديدة فى الكاريبى طبقتها فى مناطق أخرى من العالم من قبل فى حرب طواحين الهواء ،

فقــد بدأت تزرع بين الأشجار الاستوائية فى جزيرة (كاى وست) المطلة على شاطىء فلوريدا هوائى (ايريال) اذاعة طوله ٢٥٠ قدما ، وأطلقت عليه اســـم (راديو هوزيه مارتى) وهى شـــاعر كوبى ثائر فى القرن التاسع عشر وهذه الاذاعة تكمل الاذاعات الموجهة التى تبثها أمريكا الى الاتحاد السوفيتى وأوربا الشرقية والشرق الأوسط (صوت أمريكا) • وعندما أحست كوبا بالخطر أعلنت أنهـــا ستقوم وفى اللحظة التى تبدأ فيهـــا الاذاعة الجـــديدة بثها بالتشويش على مائتى محطة تجارية تبث من ٣٢ ولاية أمريكية • ورد البنتاجون (وزارة الدفاع الأمريكية) بأنه سيعتبر التشويش عملا عدوانيا •

٨ — التجـــــارة :

ومن صورها المعاصرة المعـــارض الدولية • بل ان الحوانيت فى عواصم العالم الصناعى بل عواصم العالم بصفة عامة ومدنه الرئيسية هى أظهر ما يلقـــاه المسافر •

وتاريخ الصحافة يحدثنا عن مدينـــة البندقيـــة باعتبارها مركزا تجاريا فى عصر النهضة ومركزا اخباريا بسبب قدوم التجار من الشرق فيحدثون الصحفيين بما شاهـــدوا وسمعوا • فيكتب الصحفيون من أفواه التجـــار ومن مكان تجمعهم • ولقـــد كانت رحلة الشتاء ورحلة الصيف قبيل ظهور الاسلام رحلتا التجارة الى اليمن والى الشام من وسائل الاتصال الحضارى • ولقد دخل الاسلام بعض بقاع الهنـــد مع التجار المسلمين الذين وجد أهل هـــذه البقاع فيهم قدوة انسانية وحضـــارية •

وفى أيامنا هـــذه تحمل السلعة لمحات من الشخصية الحضارية للمنتجين • ان الدقة و النظام أو صغر الحجم مثلا يكاد يتعرف عليها المستهلك العـــادى فى البضائع اليابانية أو الألمـــانية أو ما شابه ذلك دون أن يقرأ عليها اسم البلد المنتج •

ومن هـذه المساحة العريضة للتجارة باعتبارها سلعة ، وللتجارة باعتبارها نشـاطا اقتصاديا وللتجارة باعتبارها نظاما عالميا للأسواق ولاعتبارات عـديدة متشـابكة أدت التجـارة وما تزال تؤدى دورا فى الاتصال الحضارى .

٩ — اللغــة :

يرى بعض الباحثين أن اللغة وسيلة اعلام . وعندى أن اللغـة ليست وسيلة اعـلام . وانمـا هى وسيلة للتعبير عن أفكار الأفراد وتسجيلها . وهى ليست وسيلة تخاطب وحسب وانمـا هى تحمـل ملامح وسمات من يتكلمون بها .. تحمل صورتهم الثقافية . وهـذا ما يجعلها وسيلة اتصال حضارى . وعلى ضوء هـذا المفهوم نفسر جانبا من قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من عرف لغة قوم أمن مكرهم) بأن تعلم الانسان للغة قوم يمكنه من معرفة طريقة تفكيرهم .

وليست كل لغة بطبيعة الحال . تعد وسيلة اتصال حضـارى . فالشروط الضرورية لكى تصبح لغـة ما وسيلة اتصال حضارى هى بصـورة أو بأخرى الشروط الضرورية للنمو الحضارى أو الازدهار الحضارى . وجملة القول أن العـلاقة بين اللغة وبين الحضـارة هى علاقة اطراد ، وبعض الباحثين [٦] يرى أن اللغة هى العامل الرئيسى فى العلاقات الحضارية ، فالتوسع الثقافى — فى نظرهم — هو توسع لغوى قبل كل شىء ، وأن معرفة لغة تسمح لمن يعرفها بالتأثر الحضارى والثقافى . وأنه اذا نمت حضارة وازدهرت أقبلت الأمم الأخرى على تعلم لغتها للانتفاع من معطيات تلك الحضارة ونقلها الى لغتها .

ونحن نرى أن الرأيين لا يتعارضان ، وانمـا يعبران عن حقيقة واحدة . وهى العلاقة العضوية بين ازدهار حضارة وانتشار لغتها .

واللغة كائن حى يعتريها ما يعترى الكائن الحى من ميلاد ومن شباب ومرض وموت . بل ما يعترى الكائن الحى نفسيا من قوة وارادة

أو ذبول ويأس • لقد استوقفنى فى تاريخ الشعر العربى أن الغساسنة والمناذرة دولتان عربيتان لما يقرب من خمسة قرون على اتصال مباشر بالقوتين الأعظم فى الجاهلية وعند ظهور الاسلام وهما الروم والفرس •• هاتان الدولتان العربيتان لم يظهر فى أى منهما شاعر • وكان الشعراء ينبغون فى الجزيرة العربية بدوا وحضرا ويذهبون لمدح ملوك الغساسنة والمناذرة • ويروى ابن سلام الجمحى (٧) أنه كان عند النعمان بن المنذر ديوان فيه أشعار الفحول وما مدح هو وأهل بيته به ، وأن هذا الديوان آل الى بنى أمية • لقد استوقفتنى هذه الظاهرة وهى أنه لم يظهر شاعر واحد من الغساسنة أو المناذرة برغم أنهما كانا من حيث المظهر الحضارى واستخدام الوسائل الحضارية المعاصرة ووسائل الترف أكثر من بقية أهل الجزيرة بأشواط بعيدة • ولقد ألح على السؤال : لماذا لم يظهر شاعر أو لم يظهر شعر فى أى من الدولتين على مدار خمسة قرون ؟

وكانت الاجابة • فى رأيى تتلخص فى فقدان الذات • ماذا كان مثلهم الأعلى ؟ التبعية •• ؟ وهل التبعية وفقدان الذات الثقافية تجعل قلبا ينبض ؟ ان التبعية لا تنتج فنا ولا فكرا • ولابد لازدهار الفكر والفن من شىء ينبع من داخل النفس • واللغات والشعوب والحضارات ككل كائن حى لابد من شىء نبيل يحركها •

وتتعرض اللغات لمحاولات القتل أو السجن فى الصراعات البشرية ، وذلك ضمن الغزو الفكرى فى التاريخ الحديث • ونضرب مثلا بمحاولات سجن اللغة ومثلا بمحاولات قتلها بما تعرضت له اللغة العربية فى مصر والشام من جانب وما تعرضت له فى الشمال الافريقى من جانب آخر ، وذلك خلال النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى والنصف الأول من القرن العشرين • لقد تعرضت اللغة العربية فى الشمال الافريقى للقتل والوأد ، بينما تعرضت فى مصر والشام للسجن والتقييد • وبمقارنة الانتاج الأدبى والثقافى للأدباء

والكتاب الصحفيين فى مصر والشام بانتاج اخوانهم فى الشمال الافريقى تتضح لنـــا درجات التأثير • ويتبين لنـــا مدى الضرر •

وتقول الاحصائيات الدولية أن عدد اللغات المستخدمة شـــفويا فى الكرة الأرضية نحو ٣٥٠٠ لغة بينما يبلغ عدد اللغات المكتوبة ٥٠٠ لغـــة • ويقول علماء اللغة أن كل لغـــة تموت يولد مقابلها لغتان أو لغة ونصف • ومن هذه الاحصائيات يتبين لنا الموقع الممتاز الذى تتمتع به اللغـــة العربية فى عالمنا المعاصر ، فهى واحدة من ١٦ لغة يتحدث بكل منها ٥٠ مليون نسمة على الأقل فى العالم • ومزيد من الاحصائيات يدعم صورة الموقع الممتاز للغة العربية على خريطة لغات العالم • تقـــول الاحصائيات أن عدد اللغـــات فى أفريقيا يصل الى ١٢٥٠ لغة • وفى أوربا ٢٨ لغة وطنية رسمية • وكانت مشكلة تعدد اللغات فى أوربا عائقا أمام تبـــادل البرامج الاذاعيـــة (راديو وتليفزيون) ولكن الخبراء واستخدام التكنولوجيا والترجمة مكنتهم من ايجاد حلول حاسمة لهذه المشكلة • نضيف الى تلك الاحصائيات الحقيقة التاريخية والحضارية وهى ما نسميه بالمجال الحيوى للغة من اللغات • ومن ثم نجد اللغـــة العربية على أساس أنهـــا لغـــد القرآن تتبوأ مركزا ممتازا فى دائرة الاتصال الحضارى لو ازدهرت لأصحابها حضارة •

١٠ — الهجـــرات :

تمثل الهجرات منذ فجر التاريخ وســـيلة من وسائل الاتصـــال الحضارى • ويذهب مؤرخو الحضارات الى حـــدود تثير الدهشة فى حديثهم عن الهجرات القديمـــة وهم يقتفون آثارها • ويرى عبـــاس العقاد [٨] أن من سلالة العرب نزحت أقوام الى أواسط أوربا منـــذ خمسة آلاف سنة على أقل تقدير • ويقول أن كل ما استفاده الأوربيون من هـــذه البقاع فى هـــذه العصور ، هو تراث عربى أو تراث انتشر فى العالم بعد امتزاج العرب بأبناء تلك البلاد • ويؤكد بأن هذا التراث يشمل كل ما هو أصيل عريق عند الأوربيين فى شئون العقـــل والروح وأسباب العمارة والحضارة وهى :

١ — العقائد السماوية .

٢ — آداب الحياة والسلوك .

٣ — فنون التدوين والتعليم .

٤ — صناعات السلم والحرب وتبادل الخيرات والثمرات .

ويتتبع العقاد كل ذلك بالدليل والبرهان . فهو يقرر بأن الأوربيين تلقوا عن الأقوام العربية الأولى فى هجراتها عقائدهم عن الأسبوع وأرباب الأيام وسلطانها على الأحياء . ولا تزال أسماء الأيام الافرنجية تحمل طابع العقائد السماوية كما كان يعتقدها أسلاف العرب المغرقون فى القدم . والعقاد يسوق نصا عن الجزء الأول من اخوان الصفا عن أوائل ساعات الأيام جاء فيه (أعلم أن الليل والنهار وساعاتهما مقسومة بين الكواكب السيارة ، فأول ساعة من يوم الأحد للشمس ، وأول ساعة من الاثنين للقمر ، وأول ساعة من يوم الثلاثاء للمريخ ، وأول ساعة من يوم الأربعاء لعطارد ، وأول ساعة من يوم الخميس للمشترى ، وأول ساعة من يوم الجمعة للزهرة وأول ساعة من يوم السبت لزحل . ثم يسوق العقاد قرائن الاتصال الحضارى فى تأثر الأوربيين بالهجرات العربية الأولى فيذكر أن يوم الأحد يعرف فى الانجليزية باسم (سنداى) Sunday أو يوم الشمس . ويوم الاثنين يعرف فيها باسم (منداى) Monday أو يوم القمر . ويوم الثلاثاء يعرف فيها باسم (نيوزداى) أى يوم تيوز اله الحرب عند أمم الشمال الأولى . وتوضحه التسمية الفرنسية لهذا اليوم لأن يوم الثلاثاء يعرف فيها باسم Mardi أو يوم مارس وهو المريخ . ويوم الأربعاء يعرف فى الانجليزية باسم (ونزداى) Wednesday أو يوم « ودين » اله المعارف والفنون عند قدماء (التيوتون) وتوضحه التسمية الفرنسية أيضا لأن يوم الأربعاء يعرف فيها باسم Mercredi أى يوم عطارد وهو بالفرنسية Mercure وبالانجليزية Mercay ويوم الخميس يعرف

فى الانجليزية باسم (ثورزداى) Thursday أو يوم (ثور) اله الرعد عند قـدماء التيوتون ، وتوضحه التسمية الفرنسية لأن يوم الخميس يرف فيها باسم Jeudi أى يوم المشترى أو الاله جوبيتر ، ويرجـع هـذا الى اسم ياهو Jehova الذى يشير به أبناء الأمم السامية الى الله • ويوم الجمعـة يعرف فى الانجليزية باسم فرايداى Friday أو يوم الربة فريج Frig زوجة عطارد ومقابلة الزهرة فى صفاتهـا وتوضحه التسمية الفرنسية لأن يوم الجمعة فيهـا يعرف باسم يوم الزهرة Vendredi أو يوم فينوس • ويوم السبت يعرف فى الانجليزية باسم (ستارداى) Saturday أو يوم زحل Saturn فى تلك اللغـة الى اليوم • ويمضى العقاد معقبا بأنه يتبين لنا من معانى أيام الأسبوع عندهم ان عقائد التنجيم التى أخذوها عن السلالات العربية قد تغلغلت فى شعوبهم الأوربيـة من أقصى الشرق الى أقصى الغـرب ومن أقصى الشمال الى أقصى الجنوب ، وهى العقائد التى ترتبط بالمعيشة اليومية وطوالع الأوقات وسلطان الأفلاك العليا على الأحياء وحوادث الأيام • وهكذا يمضى العقاد فى القرائن والبراهين التى تؤكد لنا أهمية الهجرات فى الاتصال الحضارى •

ويحدثنا التاريخ أنه عندما قامت دولة البطالمـة فى مصر استقدموا الى الاسكندرية العلمـاء من جميع أرجاء بلاد الاغريق مثل اقليدس وارستوفانيس وكاليما خوس وزودوهم بكل وسائل الراحة من متحف شهير ومكتبة عظيمة ومدارس كثيرة ورواتب مجزية ليبدع كل فى علمه وفنـه • وجاءت الثمرة عظيمة لا تنسى •• فقـد صانوا هم ومن جاء بعدهم فى العهـد الرومانى أعمال الاغريق والغنوسطيين والمـانويين التى ضاعت أصولها • وتركت معارفهم الرياضية بصماتها فى الرياضيات الهندية ، ثم انتقلت عن طريقها الى الفارسية فالعربية [٩] •

هكذا كان المـد الحضارى فى مصر وكانت وسيلته الهجرات • ويروى لنا التاريخ صـورة للجذر الحضارى ووسيلته أيضا الهجرات • كان ذلك عند فتح العثمانيين لمصر فقد جمع سليم الأول العمال والصناع

المهرة من مصر وأرغمهم على السفر الى الاستانة لمزاولة فنون الصناعات والحرف هناك ونشرها فى بلاده .

وفى عالمنا المعاصر تمثل هجرة العقول والأيدى العاملة وسيلة من وسائل الاتصال الحضارى اذا كانت الهجرة مؤقتة ، و اذا ظل المهاجر مرتبطا بوطنه الأم ولو بقضاء العطلات فيه .

١١ — الأوجه الاتصالية للنشاط الدولى :

ومن أمثلتها الاعلام الدولى والمنظمات الدولية والألعاب الأولمبية وكأس العالم وما شابه ذلك . وتعد اليونسكو (Unesco) أبرز وأهم المنظمات فى هـذا المجال ومنذ ١٩٤٦ تاريخ انشاء هـذه المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم باعتبارها احدى المنظمات التابعة للأمم المتحدة قدمت أعمـالا باهرة فى مجال الاتصال الحضـارى بين معظم شعوب العالم . وتضم المؤتمرات العديدة التى تعقدها اليونسكو صفوة المفكرين والخبراء فى الدول الأعضاء . وتعد مؤتمرات اليونسكو ساحة فسيحة لاختلاف الآراء وتعددها حول المفاهيم الثقافية فى عالمنا المعاصر ويشمل النشاط اليومى (الروتينى) للمنظمة مجالات متسعة للاتصال الحضارى بين شعوب العالم . ومن هـذه العناصر وغيرها تسهم اليونسكو اسهاما كبيرا وفعالا فى الاتصال الحضارى وتعد وسيلة ضمن الأوجه الاتصالية للنشاط الدولى . تلك الأوجه التى مكن لهـا الاعلام المعاصر بأن جعل الكرة الأرضية قرية اتصالية .

المقارنة بين الوسـائل :

ومما لا شك فيه أن لكل وسيلة من وسائل الاتصـال الحضارى أبعـادها المتعددة التى تكشف جوانبهـا الايجابية والسلبية . ولكننا فى هـذا المجال نقتصر على تحديد وسائل الاتصال الحضارى عسى أن يفتح هـذا التحديد بابا للباحثين فى علوم الاعلام وتاريخ الحضارات وغيرهم للدراسـة والبحث . وعلى سبيل المثال ليس ما يراه السائح فى معظم الأحيان هو الصورة الحقيقية لحضارة البلدان التى يزورها . ان ولع السائح بالفولكلور مثلا وبأماكن المجون واللهو يحجب عنه أشياء

كثيرة من صلب الحضارة التى يتصل بموطنها وأهلهـا • فهل مصارعة الثيران مثلا تعبر عن الدور الحضارى لأسبانيا • وهل ملاهى شارع الهرم تعبر عن مصر وعاء الثقافة العربية الاسلامية ؟ •

ولا شك أيضا أن درجة التأثير فى الاتصال الحضارى تختلف من وسيلة لأخرى يقول أجنتس جولد تسهر (١٠) أن التأثيرات الروحية أقل تجاوبا اذا صدرت عن كتاب الى كتاب مما اذا حصلت عن طريق اعتناق الآراء التى تملأ البيئة • وتنتقل بواسطة الاتصال الحى ولا سيما اذا كانت موضـوع اختلاف قوى الحيوية فى الأفكار وبرزت الى الصف الأول من الاهتمام • ولابد أن الجدال قـد حصل شنيعا بين أطراف النقـاش •

كذلك يمثل مضمون الاتصـال عاملا حاسما فى عملية الاتصـال الحضارى من حيث الأثر ورد الفعل يقول جوستاف لوبون (١١) :

« ويجب على من يرغب فى الحكم بفائدة كتاب دينى ألا ينظر الى قواعده الفلسفية بل الى مدى تأثير عقائده ، والاسلام اذا نظر اليه من هذه الناحية وجد من أكثر الأديان تأثيرا فى الناس ، مع مماثلته لأكثر الأديان فى الأمر بالعدل والاحسان والصلاة ••• الخ • يعلم هذه الأمور بسهولة يستمرئها الجميع ، وهـو يعرف فضـلا عن ذلك ، أن يصب فى النفوس ايمانا ثاقبا لا تزعزعه الشبهات » •

أن المقارنة بين وسيلة وأخرى من وسائل الاتصـال الحضارى لا يفسد مبدأ التكامل بينها • أو كمـا نقول فى مستويات الاعلام بأن الاتصال الشخصى ليس نقيضا للاتصال الجماهيرى • وانما يدعم كل منهما أهـداف الآخر •

الاتصال الحضارى لمـاذا ؟

يقول مالك بن نبى (١٢) ان مشكلة كل شعب هى فى جوهرها مشكلة حضارية ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته ما لم يرتفع بفكرته

الى الأحــداث الانسانية وما لم يتعمق فى فهم العــوامل التى تبنى الحضــارات أو تهدمها .. وما الحضــارات المعاصرة ، والحضارات الضاربة فى ظلام المــاضى ، والحضارات المستقبلة الا عناصر للملحمة الانسانية منذ فجر القرون الى نهاية الزمن . هــذا أول ما يجيب عن سبب اهتمامنا بالاتصال الحضارى . نضيف الى ذلك الواقع المعــاصر للوطن العربى والعالم الاسلامى بصفة عامة ، والظروف التى يمر بها حضاريا والتى يمكن أن نسميها مرحلة الارهاص الحضارى أو مرحلة التهيؤ للدخول فى طور الحضارة .

أما السبب الثالث فهو أهمية أن تواكب وســائل الاتصال حركة المــد الاسلامى لدى الشباب فى معظم البلدان الاســلامية فهى قوة دافعة فى البناء الحضارى بل هى أقوى القوى والدوافع بشهادة الجميع حتى منكرى الألوهية والرافضين لفكرة الدين بصــفة عامة . ويقول (سيجموند فرويد) العــالم النفسى الشهير والذى أفرد كتابا بعنوان (مستقبل وهم) ينعت فيه الدين بأنه مجرد وهم .. يقول سيجموند فرويد هــذا فى كتابه قلق فى الحضارة (١٣) .

« لكننا لا نتخيل سمة أكثر تمييزا للحضارة من القيمة المعلقة على النشاطات العليا من انتاجات فكرية وعلمية وفنية ، ولا مؤثرا ثقــافيا موثوقا كالدور القيادى المنسوب اليها . وبين هذه الأفكار تحتل الأنظمة الدينية أرفع مكانة فى سلم القيم وقــد حاولت فى وضع آخر أن أسلط الضوء على بنيتها المعقــدة . وتصطف الى جانبها فى المرتبــة الثانية التأملات الفلسفية ، ثم أخيرا ما يمكن أن يسمى بالانشاءات المثالية لبنى الانسان أى الأفكار المتعلقة بامكان تحسين وضع الفرد أو الشعب أو البشرية قاطبة » .

وبعد .. ألسنا فى حاجة الى معرفة الطريق لنسلك الطريق ؟ اننا بالنظر الى وسائل الاتصــال الحضارى وبتعمق أبعادها نسلك سبيلا يؤدى بنــا — كعرب — الى دخــول بوابة الحضارة الانسانية من جــديد .. تلك البوابة التى خرجنا منهــا فى ليل طويل دون أن ندرى أننــا خرجنا .

الهـــوامش

(١) جوستاف لوبون — حضارة العرب (ترجمـــة عادل زعيتر) الطبعة الرابعة — مطبعة عيسى البابى — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ١٧٨ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٣٥ ، ص ٣٣٦ ، ص ٣٣٧ .

(٣) د. حسين نصار — دور مصر الثقافى — العصر الحـــديث — جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٢/٥/٢٣ م .

(٤) جوستاف لوبون — المرجع السابق — ص ٥٦٧ ، ص ٥٦٨ .

(٥) المرجع السابق — ص ٥٦٨ .

(٦) د. على محمد القاسمى — اتجاهات حديثـــة فى تعليم اللغـــة العربية للناطقين باللغات الأخرى — جامعة الرياض — ١٩٧٩ م ص ٣١ .

(٧) الديوان مجتمع الصحف أو الدفتر ، يعنى ما يقيد فيه ويدون — انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحى — السفر الأول — الطبعة الثانية — مطبعة المدنى — القاهرة — ١٩٧٤ م — ص ٢٥ .

(٨) عباس محمود العقاد — أثر العرب فى الحضارة الأوربيـــة — الطبعة الرابعة — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥ — ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ .

(٩) د. حسين نصار — دور مصر الثقافى — جريدة الأهرام بتاريخ ١٩٨٢/٥/٢ ثم بتاريخ ١٩٨٢/٥/١٦ .

(١٠) د. عبد الحليم النجار — مذاهب التفسير الاسلامى للعـــالم المستشرق اجنتس جولد تســـهر — مكتبة الخـــانجى بمصر ومكتبة المثنى ببغداد — القاهرة — ١٩٥٥ — ص ١٧٣ .

(١١) جوستاف لوبون — حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر) الطبعة الرابعة — مطبعـــة عيسى البابى الحلبى — القاهرة — ١٩٦٤ — ص ١٢٥ ، ص ١٢٦ .

(١٢) مالك بن نبى — شروط النهضة (ترجمة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوى) الطبعة الثانية — مكتبة دار العروبة — القاهرة — ١٩٦١ — ص ٢٠ .

(١٣) سيجموند فرويد — قلق فى الحضارة — (ترجمـــة جـــورج طرابيشى) — الطبعـــة الأولى — دار الطليعـــة — بيروت — ١٩٧٧ — ص ٤٨ .

المراجـــع

١ — امير اسكندر — الطريق لكسر اغلال العقل العربى — مجلة الوطن العربى — العدد ٢٢١ — ص ٦٤ ، ٦٥ .

٢ — د. زكى نجيب محمود — تجديد الفكر العربى — الطبعة السابعة — دار الشروق (القاهرة وبيروت) ١٩٨٢ .

٣ — جوستاف لوبون — حضارة العرب (ترجمة عادل زعيتر) — الطبعة الرابعة — مطبعة عيسى البابى الحلبى — القاهرة — ١٩٦٤ .

٤ — د. حسين نصار — دور مصر الثقافى (سلسلة مقالات) — جريدة الأهـرام بتـاريخ ١٩٨٢/٥/٢ ، ١٩٨٢/٥/٩ ، ١٩٨٢/٥/١٦ ، ١٩٨٢/٥/٢٣ ، ١٩٨٢/٥/٣٠ .

٥ — سيجموند فرويد — قلق فى الحضارة (ترجمة جورج طرابيشى) — الطبعة الأولى — دار الطليعة — بيروت — ١٩٧٧ .

٦ — عباس محمود العقاد — اثر العرب فى الحضارة الأوربية — الطبعة الرابعة — دار المعارف — القاهرة — ١٩٦٥ .

٧ — مالك بن نبى — مشكلات الحضـارة — شروط النهضة (ترجمـة عبد الصبور شاهين وعمر كامل مسقاوى) — الطبعة الثانية — مكتبة دار العربى — القاهرة — ١٩٦١ .

٨ — د. محمود عودة — اساليب الاتصال والتغير الاجتمـاعى — دار المعارف — القاهرة — ١٩٧١ .

٩ — مجموعة بحوث بعنوان : دراسات فى اللغة والحضارة — الناشر وزارة الشئون الثقافية — تونس — ١٩٦٥ .

الفهـــرس التفصيلى

صفحة

الفصل الرابع
الصحيفة والاعلام الدولى

الفصل الخامس
كيف نفسر الرأى العــام ؟

الفصل السادس
الاتصال الثقافى .. مفهومه ووسائله

* * *

كتب للمــؤلف ...

فى الدراسات الاعلامية :

— الاعلام والتنمية ، دار المعارف ١٩٧٩ طبعة ثانية .
— صناعة الكتاب ونشره ، دار المعارف ١٩٨٣ .
— اقتصاديات الاعلام (المؤسسة الصحفية) ١٩٧٩ .
— المسئولية الاعلامية فى الاسلام — مكتبــة الخانجى بالقـــاهرة ودار الرفاعى بالرياض ١٩٨٣ .
— الاعلام واللغــة — عالم الكتب — القاهرة — ١٩٨٤ .

فى الدراسات الأدبيــة :

— الزيات والرسالة ، دار الرفاعى بالرياض ١٩٨٢ .
— هيكل والسياسة الأسبوعية ، دار الرفاعى بالرياض ١٩٨٣ .
— الصحافة بين التاريخ والأدب — دار الفكر العربى — ١٩٨٥ .

فى الشـــعر :

— موعد فى النجوم (ديوان شعر) دار « تى » — ١٩٦٧ .
— سجين الربذة أبو ذرالغفارى — مسرحية شعرية — دار المـأمون للطباعة والنشر ١٩٧٩ .
— ما ينفـــع النـــاس (ديوان شعر) دار المـأمون للطبـــاعة والنشر ١٩٨٣ .

فى الترجمــة :

— ليوناردو دافينشى ... طبعة أولى ١٩٦٨ . الطبعة الثانية — دار الفكر العربى — ١٩٨٥ .
— اغنية المسير (مسرحية مترجمة) تحت الطبع .

رقم الايداع ۲۰۰۸/۱۹۸۵

مطبعة الاستقلال الكبرى
٨ شارع نجيب الريحاني ـ القاهرة
تليفون : ٧٤٤٠٧٦ ـ ٧٤١٦٩٨